المسيح الطبيب العظيم

خادم الرب يوسف رياض

مقدمة

هذا الكتاب، يتحدث عن معجزات الشفاء الاثنى عشر التي ذكرتها الأناجيل الأربعة لشفاء سبعة أنواع مختلفة من المرض هي:

البرص – الحمى – الفالج – نزف الدم – الاستسقاء الصمم – وعقدة اللسان.

وهذه الأمراض، التي تعتبر مجرد عينة لما عمله الرب، وهو يفوق الحصر (يوحنا 20:20 ؛ 25:21)، تعطينا صوراً سباعية لما عملته الخطية في الإنسان. لقد أفسدته تماماً. والرب –له المجد– كان قد شبّه الخطية بالمرض، وشخصه الكريم هو الطبيب، ونحن جميعاً المرضى إذ قال «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى ... لأني لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت 13,12:9).وطوال سني خدمة الرب، كان هناك من جانبه القدرة على الشفاء، والرغبة والاستعداد له. وكان كل المطلوب أن يكون عند المريض الشعور بالاحتياج، وأن يُعبِّر عن ذلك بطلب منه، أو صرخة إليه، أو لمسة له. ولا يهم بعد ذلك نوع المرض. فالرب يشفى جميع الأمراض (مزمور 3:103).والرب في يومه وجه سؤالاً لمريض مرضه عضال قائلاً له: «أتريد أن تبرأ؟». وهو يوجهه اليوم بكل البساطة والوضوح إلى كل من يشعر بحاجته لذلك الطبيب.

أخـي كسير القلـب لمـاذا فـرط الشجـن؟

إن إلـه الحـب يـداوي جـرح الـزمن

فهـو يسـوع رب الأنام

وهـو يـداوي كـل جـرح إلى التمام

محتويات الكتاب

1.معجزة تطهيرالابرص (متى 8:2-4 ؛ مرقس 1:40-45 ؛ لوقا 5:12-16)

أول معجزة في الأناجيل!!

البرص مرض رهيب بشع. كان اليهودي في العهد القديم يعرف كم هو كريه في نظر الله، فعنه أفرد سفر اللاويين (سفر الاقتراب إلى الله) إصحاحين كاملين (لا 13,14). وبحسب التعليمات الإلهية التي وردت فيهما نجد ما يلي:

أولاً: كان على الأبرص أن يعيش خارج المحلة، بعيداً عن مكان سكنى الله وسط شعبه. فيصبح منبوذاً من المجتمع، «يقيم وحده»، «تقطع تلك النفس من شعبها»، وتقطع «من أرض الأحياء». فمع أنه حي لكنه يصبح كالميت (عد 12:12).

ثانياً: كان على الأبرص أن يشق ثيابه، فالبرص إذاً مجلبة للعار. وكان عليه أن يكشف رأسه (دلالة على الخزي والفضيحة، انظر عدد 5:18). وكان عليه أيضاً أن يغطى شاربيه فلا مجال للتفاخر بشئ، بل على العكس كان عليه أن ينادي «نجس نجس» مما يعمق فيه الإحساس بمقدار حالته الكريهة.

ثالثاً: لم يعط الله أية تعليمات معينة لعلاج البرص، فهو لا أمل في علاجه (إلا عند الله) ولذا فلم يطلب الله عرض الأبرص على الطبيب، بل على الكاهن، بل إن التعليمات التي أعطاها الله لتُعمل مع الأبرص يوم طهره لا نقرأ في العهد القديم أنها عُملت ولو مرة واحدة. فالكتاب لا يحدثنا إلا عن تطهير نعمان، قائد جيش ملك أرام، من برصه.وتوضيحاً لحقيقة عدم إمكانية شفاء البرص إلا عند الله نتذكر أن نعمان السرياني (المذكور في 2ملوك 5) لما جاء إلى ملك إسرائيل ومعه رسالة من ملك أرام لكي يشفيه من برصه، مزق ملك إسرائيل ثيابه وقال «هل أنا الله لكي أميت وأحيي حتى أن هذا يرسل إليّ أن أشفي رجلاً من برصه!!»

ومن هذه الأمور الثلاثة يتضح لنا المشابهة القوية بين ضربة البرص وبين الخطية:

* فالخطية تفصل الإنسان من الآن، وستفصله إلى أبد الآبدين عن الله.

* ثم إن الخطية نجاسة كقول إشعياء «صرنا كلنا كنجس .. وآثامنا كريح تحملنا» (اش 64:6)

* وأخيراً ليس من يخلص من الخطية سوى الله!!

جاء الأبرص، موضوع هذه المعجزة، وسجد للرب وقال له: «يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني». كان هذا الأبرص واثقاً في قدرة الرب على الشفاء، لكنه كان يشك في إرادته. لماذا؟ ربما كان يفكر في نفسه أن حالته فريدة، وأن مشكلته ليس لها نظير. فمع أن الرب شفى كثيرين، لكن البرص نوع من المرض قائم بذاته. إنه أردأ كل أنواع المرض على الإطلاق. ولذا راوده هذا التساؤل:

تُرى هل يرغب الرب في مساعدة واحد مثلي؟!ولقد كان رد الرب على هذا الأبرص في كلمتين اثنتين: «أريد فاطهر». وما أعظم ما تعنيه هذه العبارة القصيرة «أريد». إنها تعبر عن العواطف الرقيقة، كما تعبر أيضاً عن السلطان المطلق. فمن سوى الله الظاهر في الجسد جدير بأن يقول «أريد»؟وعلى الجانب المقابل نقرأ عن شخص آخر، هو أبو الولد المصروع ... لم يكن يشك في إرادة الرب، بل في قدرته، إذ قال له «إن كنت تستطيع شيئاً فتحنن علينا وأعنا» (مر 9: 23). لكن مجداً للرب الذي يقدر (اش 50: 2)، والذي يريد (1تي 2: 4)!والرب يسوع قبل أن يقول «أريد فاطهر»، مد يده ولمس الأبرص. إن اليشع في يومه، عندما طهر نعمان السرياني من برصه، لم يستطع أن يردد يده على موضع الداء كما ظن نعمان (2مل 5: 11)، فالشريعة تمنع ذلك (لا 13 ؛ عد 5). واليشع لأنه إنسان، فهو عرضة لأن يتنجس. أما رب اليشع، «عمانوئيل»، الذي يطهر الأبرص بمطلق إرادته، فحاشا له أن يتنجس.لكن لماذا قصد الرب أن يلمس هذا الأبرص؟ لعل الرب قصد بهذه اللمسة أن يعالج شك ذلك الإنسان المسكين في محبة الرب له، هذا الشك الذي عبر عنه بالقول «يا سيد، إن أردت تقدر». فكانت لمسة الرب له التي سبقت كلمته الحلوة «أريد»، علاجاً ثنائياً لهواجسه ... ومن يستطيع وصف شعور ذلك الإنسان البائس عندما لمسه الرب؟! واليوم كم من نفوس برصاء بالخطية تحتاج إلى تلامس بالنعمة والمحبة معها. فهل نقتدي بالمسيح قدوتنا ونفعل لهم ذلك؟!

لكننا في لمس الرب لهذا الأبرص، يمكننا أن نستخلص مغزى أبعد. فبهذه اللمسة كأن الرب قبل أن يتحد نفسه به، وبالتالي قبل أن تنتقل نجاسته إليه هو، تبارك اسمه. وهذا يأخذ فكرنا من معجزة التطهير التي لم تكلف الرب سوى كلمة، إلى الصليب، حيث تألم القدوس «خارج الباب»، مكان الخطاة النجسين. وهناك جعله الله خطية لأجلنا، وهو الذي لم يعرف خطية، لنصير نحن بر الله فيه (2كو 5: 21).وبعدما طهر الرب الرجل الأبرص، أنذره بلهجة شديدة أن لا يقول لأحد. فذلك المتواضع لم تكن الشهرة تستهويه، بل لقد طلب منه أن يعرض نفسه على الكاهن، ويقدم القربان «الذي أمر به موسي شهادة لهم». فهذه المعجزة، كما قلنا، هي أول معجزة مذكورة في الأناجيل. وفي الأناجيل نحن لم نصل بعد إلى جو النعمة الصافي وبشارتها الغنية التي بدأت بعد الصليب.والناموس، مع أنه ليس فيه القدرة على تطهير الأبرص، فإنه يطالب بقربان. أما النعمة التي في المسيح، فلا تطالبنا بشئ على الإطلاق، بل قدمت لنا هذه النعمة هبة الله العظمى وعطيته التي لا يعبر عنها!!

«قدم القربان .. شهادة لهم» ونحن كما قلنا، نعتقد أن هذا القربان لم يقدم طوال العهد القديم ولا مرة واحدة. حيث باستثناء مريم أخت هرون، لا نعلم أن أحداً تحت الناموس قد شُفي من ضربة البرص.ولا نستبعد أن يكون الكاهن الذي ذهب إليه الأبرص المتطهر في ذلك اليوم، هو أول من نفذ الشريعة الخاصة بتطهير الأبرص، ثم توالى تنفيذها بعد ذلك مرات طوال فترة خدمة الرب له

المجد (مت 5:11). ويا لها من شهادة قوية، فإن استعصى شفاء الأبرص عند الناس، لكنه لا يستعصى على الله. وها هو تعالى فيما بينهم «عمانوئيل» الذي تفسيره الله معنا!!

يانفسي قد وافى يسوع رب الفدى القدير

شافيك من سقم يروع طبيبك الخبير

لقد علق على تلك المعجزة مرقس البشير بقوله إن الرب لم يعد يدخل مدينة ظاهراً، بل كان خارجاً في مواضع خالية. وكانوا يأتون إليه من كل ناحية. فالرب، له المجد، لكي يمنح لأمثال هذا البرص فرصة الالتقاء به، رضى أن يمشي خارجاً، بل فيما بعد رضى من أجل الخطاة النجسين أن يموت «خارج الباب» (عبرانيين 12:13).ولقد كانوا يأتون إليه من كل ناحية. ولا زالوا حتى الآن يأتون إليه. فلماذا لا تأتي أنت؟وحتى القرابين التي كان على الأبرص أن يقدمها يوم طهره، أنت لست بحاجة إلى أن تقدمها. فلقد كانت كلها تشير إلى المسيح وعمله فوق الصليب. وهذا ما قدمه الله لأجلنا من نحو ألفي سنة.

أليس عجيباً أن يقدم الله أفضل من في السماء (ابنه الوحيد) لأجل أنجس من على الأرض!!!

تأمل وتعليق

«جميع المرضى شفاهم. لكي يتم ما قيل باشعياء النبي القائل هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا» (متى 17,16:8).

المسيح هو الطبيب الوحيد الذي شفي مرضاه بأن أخذ أسقامهم وحمل أمراضهم!!!

2

العشرة رجال البرص (لوقا 17:11-19)

أكبر معجزة إبراء سجلها الكتاب المقدس.يحدثنا الكتاب المقدس عن 21 شخصاً أبرص (3 X 7) أي شهادة كاملة عن نجاسة الإنسان روحاً ونفساً وجسداً.وكم من أناس، عندما تكلمهم عن قدرة الرب على خلاصهم، يجيبونك بأن الله قادر على كل شئ: على أن يخلصهم، وعلى أن يهلكهم .. هؤلاء يعرفون شيئاً عن قدرة ذراع الرب، ولكن ينقصهم معرفة قلبه ومحبته وحنانه.

«يخرج الطاهر من النجس» (أي 4:14). وفي هذه المعجزة طهَّر دفعة واحدة عشرة رجال برص!!

حدثت هذه المعجزة أثناء ذهاب الرب إلى أورشليم (على الأرجح في رحلته الأخيرة، حيث كان الرب عتيداً أن يُصلب هناك)، فاجتاز الرب في وسط السامرة والجليل، هذه المناطق المحتقرة، كأنه له المجد يعرض خلاصه وبركته لآخر مرة على النفوس وهو عالم بمقدار الخسارة التي لا تعوض، والتي ستقع على الذين يصرون على تجاهله.وفيما هو داخل إلى قرية استقبله عشرة رجال

برص. وفهم أن تسعة من هؤلاء كانوا يهوداً وواحداً سامرياً. وبحسب الظروف العادية كنا نتوقع أن نرى التسعة في جانب والعاشر في جانب آخر، «لأن اليهود لا يعاملون السامريين» (يو 9:4)، وينظرون إليهم نظرة الاحتقار. لكن الشئ الذي عنده يتساوى جميع البشر هو الخطية «لأنه لا فرق إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله» (رو 23,22:3).وطالما اشترك العشرة في النجاسة، فلم يعد أمامهم جميعاً سوى شئ واحد مشترك أيضاً هو رحمة الله (رو 12,11:10) ولهذا فإن العشرة البرص وقفوا معاً من بعيد، ورفعوا صوتاً قائلين «يا يسوع يا معلم ارحمنا».وما من أحد صرخ إليه وضاعت صرخته في الهواء «لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يخزى. لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن رباً واحداً للجميع غنياً لجميع الذين يدعون به» «لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص» (رو 13:10)لكن الرب في هذه المرة، وبخلاف المعجزة السابقة، لم يلمسهم ليطهرهم. فهو له المجد يقدر أن يشفي بلمسة كما يقدر أن يشفي بدون لمسة. فكلمته كافية تماماً للبرء. غير أنه في هذه المرة أراد أن يوضح أن التطهير أو الشفاء هو بالإيمان. ولذا فإنه نظر وقال لهم «اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة». ورغم أنه لم يكن حدث فيهم أي تغيير، فقد كان الأمر إليهم أن يذهبوا .. هذا هو دليل الإيمان. ويقول لوقا «وفيما هم منطلقون طهروا».في معجزة تطهير الأبرص السابقة فهمنا أن الخلاص هو من مجرد النعمة. وفي هذه المعجزة الجديدة نفهم أن الخلاص هو بالإيمان. ويقرن الرسول بولس الأمرين معاً فيقول «لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان» (أف 8.2)، وأيضاً «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه» (رو 24:3).«فواحد منهم لما رأى أنه شُفى رجع يمجد الله بصوت عظيم وخرّ على وجهه عند رجليه شاكراً له». وهنا نحن أمام أمرين: أمر لم يعمله هذا الرجل وأمر عمله.

أما الأمر الذي لم يعمله فهو أنه لم يذهب إلى الكاهن. لقد رجع إلى الرب يسوع. ولم يوبخه الرب على ذلك، ولا طلب منه أن يعود فيذهب .. ذلك أن من يعرف قيمة شخص الرب لا تكون له حاجة إلى أي إنسان. لقد كان القول «اذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة» امتحان مزدوج: نجح العشرة جميعاً في الجزء الأول، لكن واحداً فقط نجح في الجزء الثاني. لقد انفتحت بصيرته، وعرف أن المسيح هو الكل في الكل، فلماذا يذهب إلى إنسان آخر. وهل بعد الله الظاهر في الجسد يحتاج إلى شئ آخر؟ ولهذا رجع، والرب مدحه.أما الشئ الذي عمله هذا الرجل، فهو أنه سجد(*) للرب. والرب في هذا أيضاً لم يوبخه على ما فعل. لقد رفض الملاك سجود يوحنا الرسول له (رؤ 10:19 , 9:22)، ورفض بطرس الرسول سجود كرنيليوس له (أع 26:10). لأن الوصية الصريحة هي «للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (مت 10:4). والمسيح يعرف هذه الوصية جيداً، فلقد سبق أن قالها للشيطان رافضاً كل مجد العالم، لكي لا يسجد لغير الله. أفلم يكن المسيح على حق عندما قبل السجود من ذلك السامري؟ بل ومن كثيرين قبل

(*) لقدمي الرب يسوع مكان بارز في انجيل لوقا. عندهما نالت المرأة الخاطئة غفران لخطاياها (38:7) وعندهما جلس الذي كان مجنوناً والرب أخرج منه اللجئون (35:8). وعندهما جثا يايرس طالباً من الرب أن يشفي ابنته الوحيدة (41:8). وجلست مريم لتسمع كلامه (39:10). فيالفيض البركات التي تنالها النفس المؤمنة عند قدميه. وهنا في المرة الخامسة جاء السامري ليقدم سجوده عند رجلي المسيح! (أنظر أيضاً لو 40,39:24).

ذلك وبعده (مت 11:2؛2:8؛18:9؛33:14؛9: 17,28 ؛رؤ 17:1)؟! كلا. إن الذي طهر الأبرص بكلمة هو الذي قبل منه السجود، لأنه في الحالتين هو الله الظاهر في الجسد.والرب لم يلم هذا السامري، بل لام التسعة «فأجاب يسوع وقال أليس العشرة قد طهروا. فأين التسعة؟ ألم يوجد من يرجع ليعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنس؟». وكم من أناس يفرحون بعطايا الله. أما هذا السامري فقد فرح بالله نفسه صاحب العطايا، فعاد إلى الرب كيما بسجوده عند رجليه يعطي مجداً لله.ولا زال سؤال الرب يتردد حتى اليوم «أين التسعة؟» ألم ينقذك أيها القارئ من مخاطر متنوعة؟ وشفاك من أمراض عديدة؟ ورحمك مراراً. فلماذا لم ترجع لتعطي المجد لله؟ ألعلك نسيت قوله «أدعني في يوم الضيق. أنقذك. فتمجدني» (مز 15:50)؟!«ثم قال (الرب) له قم وامضِ إيمانك خلصك». فأولاً إيمانه شفاه كما شفي زملاءه، لكنه في لقاءه مع الرب في المرة الثانية فإنه، دون الباقين، سمع قوله الحلو «إيمانك خلصك». العشرة تمتعوا بالشفاء، لكن واحداً فقط تمتع بالخلاص .. والآن كل البشر يتمتعون ببركات الله وعطاياه الزمنية، فهو يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين. أما نعمة الخلاص الأبدي فلا يتمتع بها سوى القليلين

تأمل وتعليق

كان للعشرة:

نفس المرض = الخطية

و نفس المكان = الانفصال

و نفس الصرخة = الحاجة =الله

و نفس الشخص = الطاعة

وتلقوا نفس العلاج = الخلاص

وحصلوا على نفس البركة

لكن واحداً فقط جاء وسجد! «فأين التسعة؟»

3.شفاء حماة بطرس (متى15,14:8 ؛ مرقس 31,29:1 ؛ لوقا 39,38:4)

اختطاف من النار!

في الأيام الباكرة لخدمة الرب التجوالية، بعد أن حضر الرب المجمع في كفرناحوم يوم السبت ذهب مع بعض التلاميذ إلى بيت بطرس فوجد هناك حماته مضطجعة وقد أخذتها حمى شديدة، فشفاها الرب من الحمى التي كانت فيها فتركتها الحمى حالا فقامت

وصارت تخدمهم.والحمى مرض يصيب الإنسان نظرا لرفض الجسم لأشياء غريبة وسامة، الأمر الذي ينتج عنه ارتفاع درجة حرارة الجسم[*] أثناء محاولة إيقاف تأثير هذه السموم وإذ تتجاوز حرارة الجسم معدلها الطبيعي يحدث ارتباك في أجهزة الجسم ويشعر المريض بالإعياء والإنهاك وعدم الراحة .. ويزداد شعور بالعطش .. فإذا اشتدت الحمى أكثر يدخل المريض في حالة اللاوعى، ويصعب أن يذهب إلى الطبيب، بل يلزم أن الطبيب يأتي إليه.يا لها من صورة صادقة للخطية، فإن كنا رأينا في البرص صورة لنجاسة الخطية والموت الأدبي الذي تسببه، فإننا في الحمى نجد صورة أخرى لما تسببه الخطية من تعب حاضرا وأبديا:

لماذا وجه الرب نداءه للمتعبين لكي يأتوا إليه فيريحهم؟ أليس الخطية مثل الحمى تصيب صاحبها بالتعب؟ فهو لا يرتاح إذا لم يعمل الخطية، ولا يرتاح إذا عملها وتنتظره أبدية لن يكون له فيها راحة نهاراً وليلاً (رؤ 14:11).ومرتكب الخطية لا يرتوي أبدا وليس فقط هو هنا دائم الإحساس بالعطش، بل وينتظره بعد الموت لهيب أقسى يطلب فيه قطرة ماء لتبريد لسانه، فلا يُجاب طلبه (لو 16:24).ولقد وصف هوشع الشعب الخاطئ بالقول «كلهم فاسقون كتنور محمى ... كل الليل ينام خبازهم في الصباح يكون محمى كنار ملتهبة كلهم حامون كالتنور» (هو 7:4,7).والخطية ألا تصيب صاحبها بالهذيان كالحمى؟ الم نسمع كثيرا خاطئا يتكلم باستخفاف عن الأبدية و المخلص؟ إن صاحبنا هذا قد أخذته حمى شديدة فدخل في حالة اللاوعى.والحمى معدية، وهكذا الخطية «فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيد» (1كو15:33).لكن جاء الطبيب العظيم إلى البيت، فهل يمكن أن يجتمع الرب والمرض معا في نفس المكان؟ محال. لكن تُرى كيف تعامل مع المرض؟ أية أشعات أو تحاليل طلبها؟ وأية أدوية أو عقاقير وصفها؟ لا شئ من ذلك على الإطلاق!والعلاج من الحمى اليوم، ومع تقدم الطب الهائل، يحتاج إلى أسابيع وربما شهور، بعدها تبدأ الحمى في الاختفاء بالتدريج تاركة المريض منهكا. أما طبيبنا العظيم، فإن الأمراض تهرب هروباً من أمام وجهه!

لقد انتهر الحمى .. إنه لم ينتهر المريضة، بالعكس لقد امسك بيدها .. لكنه انتهر الحمى. فالرب الذي يكره الخطية يحب الخاطئ. لقد دان الله «الخطية في الجسد» لكنه لا يُسر بأن يدين الخاطئ، بل يريد أن جميع الناس يخلصون!!

وفي الحال قامت وصارت تخدمهم. لقد أعطاها الرب الصحة والقوة فاستخدمتها في خدمة الرب الذي أقامها، وفي خدمة تلاميذه. ويا له من درس هام لنا. لقد خدمها هو أولاً، فخدمته هي «في الحال».هذه المعجزة وردت في الأناجيل الثلاثة الأولى: متى ومرقس ولوقا. متى يقول في إنجيله إن الرب رأى حماة بطرس، بينما مرقس يقول «أخبروه عنها»، وفي لوقا «سألوه من أجلها».ولا يوجد تناقض في هذه الروايات الثلاث: فهم أخبروه عنها، ثم سألوه حتى يشفيها، من ثم دخل حيث كانت مضطجعة ورآها ...لاحظ هذه الثلاثية: لقد رآها، لقد أخبروه عنها، لقد سألوه من أجلها ... ولا زالت هذه الأمور صحيحة حتى اليوم. إنه

---

[*] إن كلمة الحمى مشتقة من نفس المصدر الذي يعني الحرارة المرتفعة.

يرى كل شئ، ويعلم عنك كل شئ .. والأفضل أنك تأتي لتخبره بكل ما تعاني منه، وبكل ما يجعلك في حمى شديدة. وأن تسأل منه الشفاء من كل ما يتعبك. وهو على أتم استعداد أن يشفيك. لقد جرب ذلك الملايين، فلماذا لا تأتي أنت أيضاً؟!!

ثم ما الذي عمله المسيح ليشفي حماة بطرس؟ إنها إذ كانت مضطجعة على الأرض تقدم منها ووقف فوقها (أي تجاهها) حسبما ذكر لوقا. ثم لمس يدها مجرد لمسة (كما يخبرنا متى) وفي فمه كلمات انتهار للمرض، فشُفيت في الحال. لكنه ساعدها على النهوض وأقامها ماسكاً بيدها (كما يخبرنا مرقس).فهو كالكاهن العطوف، كما يصوره لوقا، وقف أمامها، يرثى لها. ثم كالمسيا، كما يصوره متى، لمسها. فأي مرض لا يستلزم أكثر من لمسة فيهرب من أمامه. لكنه كالخادم، كما في انجيل مرقس، أمسك بيدها وساعدها على النهوض!مجداً له، فهو بعد أن بذل نفسه لأجلنا على الصليب ومضى إلى السماء، لا زال مستعداً أن يمسك بنا «لأنه حقاً ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم» (عب 2:16).

تأمل وتعليق

الحمى

بعض أنواعها:

* الحمى الصفراء (الذهب): «الذين يريدون أن يكونوا أغنياء» (1تيموثاوس 6:9).

* الحمى القرمزية (رمز تعظم المعيشة – 2صموئيل 1:24): «من أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله» (يعقوب 4:4)

* حمى مَعِدية – (التسمم): «البطر والسكر» (رومية 13:13) أو سائر «الشهوات الجسدية» (1 بطرس 2:11).

* حمى مخية: «شهوة العيون» (1 يوحنا 2:16)، «لهم عيون مملوءة فسقاً، لا تكف عن الخطية» (2 بطرس 2:14).

اسبابها

– الأماكن الرطبة غير الصحية: مستنقعات عدم الإيمان، وجو العالم الفاسد، بدل التواجد على جبال الشركة مع الله.

– انعدام النظافة، والتناول من أطعمة العالم الملوثة، ومياهه الآسنة.

– التعرض للحرارة الزائدة: الشهوات الجامحة.

– سوء التغذية: من كلمة الله.

– ملامسة المرضى: «لا تضلوا فإن المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة» (1 كو 15:33).

ولهذا ينبغي علينا ان:

▪ نهرب من محبة المال (1تي 6:10,11) لنتجنب الحمى الصفراء

- ونهرب من الشهوات الشبابية، مثل الغرور وحب الظهور والثقة بالذات (2 تي 22:2)، لنتجنب الحمى القرمزية
- ونهرب من الزنا (1 كو 18:6) لنتجنب الحمى المعدية
- ونهرب من عبادة الأوثان (1كو14:10) لنتجنب الحمى المخية

(مقتبسة بتصرف)

4.شفاء ابن خادم الملك (يوحنا 4:46-54)

أول شفاء من على بُعد

هذه المعجزة حدثت أيضاً في كفرناحوم. في المعجزة السابقة التي حدثت في كفرناحوم شُفيت حماة بطرس من الحمى. وفي هذه المرة ابن أحد رجال الحرس الملكي، وكان أيضاً مصاباً بالحمى، ومشرفاً على الموت .. وهكذا نجد الخطية المشبهة بالحمى قد أصابت البشر جميعاً: رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، أغنياء وفقراء.ما أن سمع ذلك الضابط أن الرب قد وصل من اليهودية إلى الجليل، حتى انطلق إليه، وسأله أن ينزل ويشفي ابنه وقد أشرف على الموت. ورغم إيمان الرجل لقدرة الرب على شفاء ابنه فإنه نال التوبيخ من الرب، إذ قال له «لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب».وللأسف لا زال الكثيرون حتى اليوم يجرون وراء المعجزات، وليتهم يدركون كلمات الرب هنا ويقارنونها بكلماته لتوما «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو 29:20). إن الترتيب الصحيح ليس أنك ترى فتؤمن، بل أن تؤمن فترى (يو 40:11 ؛ عب 1:11). البعض يريد أن يخلص لكي يؤمن، لكن الرب يقول آمن فتخلص (أع 31:16 ؛ رو 9:10).يقول الرسول بولس «لأن اليهود يسألون آية واليونانيين يطلبون حكمة. ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً» (1كو 23,22:1) فلا كلام الحكمة الإنسانية المقنع (1كو 4:2) ولا الآيات التي تثير الدهشة (يو 23:2) هي موضوع كرازتنا. بل إن كرازتنا هي بكل بساطة «المسيح مصلوباً».لكن هذا الضابط أظهر مرة ثانية ضعف إيمان إذ قال للرب «يا سيد انزل قبل أن يموت ابني». كأن الرب لا يقدر أن يشفيه من مكانه، أو كأن الرب لا يقدر أن يقيمه إذا مات، أو كأن نسمة هذا الولد ليست في يد ذاك الشخص المتواضع الذي وإن كان بجسده في الجليل، فإنه في نفس الوقت في السماء وبه نحيا ونتحرك ونوجد!!والرب مع أنه ينتظر منا إيماناً قوياً، لأن الإيمان القوي يمجده (رو 20:4) إلا إنه لا يحتقر الإيمان الضعيف «قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ» (اش 3:42). إنه يتعهد الإيمان الضعيف حتى يقويه. وهذا ما عمله الرب مع ذلك الضابط.«قال له يسوع: اذهب، ابنك حي». يا لروعة المعجزة!! يفتخر الإنسان اليوم بقدرته على التحكم من بُعد. فمن الأرض يمكنه أن يصحح الأعطال التي تحدث في الأقمار الصناعية ومركبات الفضاء. لكن وإن كان الإنسان يقدر أن يصحح أخطاء من بُعد

في أشياء صنعها، فإن الله يستطيع أن يرفع من بُعد أمراضاً في أشخاص خلقهم .. وهذا ما عمله الرب يسوع في هذه المعجزة. لقد شفى المرض المستعصي من بُعد، وأقام المشرف على الموت بكلمة قدرته.إن قانا الجليل، حيث التقى الرب مع ذلك الضابط، تبعد عن كفرناحوم نحو 40 كيلومتراً. لكن الأمر لم يستلزم أكثر من قول الرب «اذهب، ابنك حي». «أرسل كلمته فشفاهم» (مز 20:107).في بداية المسيحية كان بطرس يشفي المرضى بمجرد أن يخيم ولو ظله على أحد منهم (أع 15:5). وأما بولس فقد صنع الله على يديه قوات غير المعتادة، حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض (أع 12,11:19). لكن رب بطرس وبولس لم يكن بحاجة إلى أن يخيم، ولا أن يؤتى عن جسده بمناديل. بل إن كلمة واحدة منه تكفي «لأنه قال فكان. هو أمر فصار» (مز 9:33).«فآمن الرجل بالكلمة التي قالها يسوع وذهب». وكم هذا مهم بصفة خاصة في الوقت الحاضر حيث المسيح غائب بجسده عنا. كيف يمكنك أن تستفيد من المسيح؟ الإجابة هي أن تؤمن بالكلمة التي قالها المسيح. تلك الكلمة المدونة في الكتاب المقدس.«وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه قائلين إن ابنك حي. فاستخبرهم عن الساعة التي أخذ فيها يتعافى. فقالوا له أمس في الساعة السابعة تركته الحمى. ففهم الأب أنه في تلك الساعة التي قال له فيها يسوع أن ابنك حي». لقد سأل عن الساعة التي فيها أخذ يتعافى. لكن الولد لم يتعاف بل تركته الحمى فوراً وفي نفس اللحظة التي فيها نطق الرب يسوع بكلمته. هذا يعطينا صورة لخلاص الله. إن شفاء الرب وخلاصه ليس بالتدريج بل في لحظة، هي نفس اللحظة التي فيها تسمع النفس الكلمة وتؤمن بها .. وكانت النتيجة «فآمن هو وبيته كله».

إذاً لقد مرَّ ايمان ذلك الرجل بمراحل ثلاث.

الإيمان بالآيات: «لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب» والرب لم يجد سروره في هذا النوع من الإيمان.

الإيمان بالكلمة: «فآمن الرجل بالكلمة» هذا مستوى عظيم، أن تصبح كلمة الله وحدها هي موضوع الثقة.

إيمان بالرب نفسه: وهو أرقى الأنواع. والجميل أنه لم يؤمن بالرب يسوع وحده، بل هو وأهل بيته.

ترى في أي هذه المواقف الثلاثة يقف القارئ العزيز؟

تامل وتعليق

«فآمن هو وبيته كله»لقد كان هذا القائد أيضاً قائداً في بيته. وقبله وبعده وجد كذلك قادة أفاضل كثيرون: نحن نتذكر كرنيليوس، قائد المئة (أعمال 10) وقيادته المباركة لكل بيته وأقربائه إلى البركة.كما نتذكر قبله القائد العظيم يشوع الذي قال للشعب «إن ساء في أعينكم أن تعبدوا الرب، فاختاروا لأنفسكم اليوم من تعبدون ... أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يشوع 15:24).

هل أنت قائد في بيتك؟

5.معجزة الإيمان العظيم (متى 8:5-13 ؛ لوقا 7:1-10)

في هذه المعجزة التي حدثت أيضاً في كفر ناحوم، نلتقي (مثل المعجزة السابقة) برجل عسكري. لكنه هذه المرة ليس يهودياً بل رومانياً، وكان له غلام مطروح في البيت مفلوجاً ومعذباً جداً.لقد سبق أن تأملنا حتى الآن في نوعين من الأمراض: البرص، وهو صورة لنجاسة الخطية، والحمى، صورة لتعب الخطية. فإذا كانت الخطية تتعب الإنسان (كالحمى) .. وتطرده خارجاً، الآن وطوال الأبدية (كالبرص)، فلماذا لا يتخلص الإنسان منها؟ السبب لأن الإنسان الخاطئ عاجز وضعيف، الأمر الذي يصوره لنا هذا المرض. فهل من كان «مطروحاً في البيت مفلوجاً» و «مشرفاً على الموت» يقدر أن يشفي أو يخلص نفسه؟!إن الفالج (أي الشلل) هو صورة خارجية لحالة موت داخلية (في خلايا معينة في المخ أو الجهاز العصبي). وهكذا الخطية وهكذا الخاطئ .. فالإنسان لا يعمل الصلاح لأنه لا يستطيع أن يعمله (رو 7:8)، ويعجز عن أن يمجد الله لأنه خاطئ (رو 23:3).وهو مرض مستعصي، يلازم صاحبه حتى يصل به إلى القبر. وألم يقل الحكيم وصفاً للخاطئ «إن دققت الأحمق في هاون بين السميذ بمدق لا تبرح عنه حماقته» (أم 22:27).جاء الرب يسوع إلى كفرناحوم، وهي مدينته (مت 1:9) التي سكن فيها بعد الناصرة، وقد رأت العديد من معجزاته. ورغم كل هذا لم تتب، فاستحقت التوبيخ القاسي، بل والتهديد بالقضاء عليها بالسقوط إلى الهاوية. والرب يوضح أن سر عدم توبتها هو كبرياؤها. فلقد كانت مدينة مرتفعة إلى السماء (مت 23:11). وكم يمقت الله الكبرياء، ويقاوم المستكبرين!!لكن إذا كانت كفرناحوم هي مدينة يهودية متكبرة،فإننا فيها نلتقي بشخصية أممية متواضعة. فهذا الضابط لما عرف أن يسوع سيأتي بنفسه ليشفي غلامه، أرسل إليه يقول «يا سيد لا تتعب. لأني لست مستحقاً[*] أن تدخل تحت سقفي»، لذلك لم أحسب نفسي أهلاً أن آتي إليك لكن قل كلمة فيبرأ غلامي، في معرفته بحقيقة نفسه قال للرب أنا لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي وفي معرفته بحقيقة المسيح قال له: والأمر لا يستحق أن تتعب نفسك «قل كلمة فقط». ثم استخدم اللغة العسكرية التي يتقنها فقال: «لأني أنا أيضاً إنسان تحت سلطان. لي جند تحت يدي. أقول لهذا اذهب فيذهب ولآخر إيت فيأتي، ولعبدي افعل هذا فيفعل». وهو بهذا القول أوضح أن السر وراء إطاعة جنوده لأوامره في الحال يرجع إلى خضوعه هو للسلطة التي فوقه. فطالما هو خاضع للسلطة التي عينته، فإنه يمثلها .. إنه أمام جنوده يمثل سلطان القيصر وهيبة الدولة الرومانية، وبالتالي فلا يعصى جنوده أمراً من أوامره على الإطلاق.ولقد طبق هذا الضابط المبدأ السابق على الرب يسوع إذ لاحظ أن «يسوع الناصري» يعمل دائماً تحت سلطان أبيه السماوي، وعليه فهو يمثل سلطة السماء، ووراء أوامره كل قوة السماء. إذاً فكلمة واحدة منه سيتبعها في الحال

(*) مع أن شيوخ اليهود قالوا عنه للرب «إنه مستحق أن يفعل له هذا». أما هو فقال «لست مستحقاً»

ظهور كل قوة الله وسلطانه غير المحدود على المرض. لقد كان ذلك الضابط أسمى في إيمانه من الضابط اليهودي الذي تأملناه في المعجزة السابقة.إذاً لقد تميز ذلك الضابط الروماني بأمرين جوهريين: التواضع والإيمان.

التواضع!! ما أجمل أن يقول القلب بصدق كما قال ذلك الضابط «لست مستحقاً»!! لقد قالها الابن الراجع (لو 21:15)، وقالها المعمدان (يو 27:1)، وقالها الرسول بولس (1كو 9:15) .. كم هذه الكلمة عذبة على سمع الرب يسوع الوديع والمتواضع القلب (مت 29:11) الذي «يعطى نعمة للمتواضعين» (أم 34:3).والإيمان!! .. لقد تعجب الرب يسوع من إيمانه، وقال للذين يتبعون «الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيمانا بمقدار هذا». ومكتوب «لكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه. لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه» (عب 6:11).اثنان فقط تعجب الرب من إيمانهما في أيام جسده؛ الأول هو قائد المئة الأممي الذي نتأمله الآن. والثاني هو المرأة الأممية الكنعانية التي طلبت من المسيح أن يشفي ابنتها المجنونة. وفي الحالتين قام الرب بالشفاء وهو في مكانه دون أن يذهب بنفسه للعلاج!وكم يعزينا هذا. فوان كان المسيح غائباً بجسده عنا، لكن كلمته فيها كل الكفاية لنا «قل كلمة فقط فيبرأ غلامي» فقال يسوع لقائد المئة «اذهب وكما آمنت ليكن لك. فبرأ غلامه في تلك الساعة».وكما قصد لوقا كسر كبرياء الأمم، فإن متى الذي يكتب لليهود انفرد أيضاً بأقوال، قصد الروح القدس منها كسر كبرياء اليهود واكتفائهم بامتيازاتهم الجسدية والدينية دون توبة ولا إيمان. فذكر قول الرب يسوع «إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات وأما بنو الملكوت (اليهود) فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت 12,11:8).يا لها من دعوة غنية للجميع، فالمسيح يرحب بالكل. إنه يقبل الذين يأتون من المشارق والمغارب وهو القائل «من يقبل إليّ لا أخرجه خارجاً» (يو 37:6).لكن احذر .. فكم حولنا أشخاص (مثل اليهود في يومهم) متكلين على امتيازات خارجية وجسدية كيفما كانت. اذكر قول المسيح هنا أن بني الملكوت سيُطرحون إلى الظلمة الخارجية لأنهم اكتفوا بامتيازاتهم دون توبة ولا إيمان!!

تأمل وتعليق

«تعجب (يسوع) من عدم إيمانهم» (مرقس 6:6).«لما سمع يسوع تعجب. وقال لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا» (متى 10:8). لا نقرأ أن المسيح تعجب لأي شئ من عجائب الدنيا. لقد تعجب فقط من الإيمان، ومن عدم الإيمان.

6.شفاء المفلوج (متى9:1-8 ؛ مرقس2:1-12 ؛ لوقا 5:17-26)

شفاء مريض بثماني أرجل!

هذه المعجزة، مثل المعجزة السابقة، حدثت في كفرناحوم، ومثلها في كونها شفاء لشخص مفلوج. لقد جاء الرب يسوع إلى كفرناحوم، «مدينته»، ودخل في بيت، فاجتمع إليه جمهور كبير من الشعب، حتى أنهم ملأوا مدخله. فكان الرب يخاطبهم بالكلمة.كان من ضمن من سمع بوجود الرب في هذا المكان أربعة أشخاص كان لهم شخص يهمهم أمره، ربما هو أخ أو قريب أو صديق عزيز. وكان هذا الشخص مفلوجاً (أي مشلولاً). حمل الأربعة هذا الإنسان العاجز، وإذ لم تقوَ رجلاه على حمله، فإن ثماني أرجل حملته بسريره وسارت به شوارع كفرناحوم، ذاهبة به إلى الطبيب العظيم الذي لم يرجع مريض واحد من عنده خائباً أبداً. لكن الرجال الأربعة اكتشفوا عندما وصلوا إلى البيت الذي كان فيه الرب، استحالة دخوله بسبب الجمع. وإذا بأحدهم يقترح الصعود إلى السطح ونقب السقف وإنزال المريض بسريره إلى حيث كان يسوع موجوداً. والباقون تحمسوا للفكرة وبدأوا في تنفيذها فوراً.وقد كان. والرب كافأ الإيمان. فغفر خطايا ذلك المفلوج وشفاه. فقام وحمل ما كان مضطجعاً عليه ومضى إلى بيته وهو يمجد الله!!والآن دعنا نتأمل في تلك الجموع السامعة المتزاحمة..لقد تزاحموا بشدة ليسمعوا الكلمة التي كان الرب يخاطبهم بها. فهم كانوا في حضرة الرب نفسه، يستمعون إلى أعجب كلمات خرجت من فم إنسان. ما كان أعظم فرصتهم للبركة! لكن الكتاب المقدس لم يحدثنا عن أي تأثير تركته الكلمة على ضمائرهم وقلوبهم.ولقد سبق أن صور الرب هذه الحالة قبل ذلك بمئات السنين عندما قال على لسان حزقيال النبي «إن شعبي يتكلمون عليك بجانب الجدران وفي أبواب البيوت. ويتكلم الواحد مع الآخر، الرجل مع أخيه قائلين هلموا اسمعوا ما هو الكلام الخارج من عند الرب. ويأتون إليك كما يأتي الشعب، ويجلسون أمامك كشعبي، ويسمعون كلامك ولا يعملون به. لأنهم بأفواههم يظهرون أشواقاً وقلبهم ذاهب وراء كسبهم. وها أنت لهم كشعر أشواق لجميل الصوت يحسن العزف. فيسمعون كلامك ولا يعملون به» (حز 33:30-32).ولقد ذكرنا في المعجزة السابقة كيف وبخ الرب في يومه المدن التي لم تتب، وكان من ضمن هذه المدن كفرناحوم. والآن نجد أهل كفرناحوم يتزاحمون حول الرب ليسمعوا كلامه، دون أي تأثير أو توبة. فلم يكن تزاحمهم هنا سوى من قبيل التفضل أو الفضول.إذاً لقد رفضوا آيات المسيح، كما رفضوا كلماته. فيا ويلهم حقاً.لكن لنترك هذه الزحمة الفارغة ونتحول إلى تلك الأقلية المؤمنة، أي هؤلاء الأربعة حاملي المريض. ومع أن الرب كان في «مدينته»، كفرناحوم، قرية التعزية، لكنه لم يجد التعزية وسط زحمة عدم الإيمان سوى في هؤلاء الأربعة الذين أنعشوا نفسه واشبعوا قلبه إذ مكتوب «لما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج مغفورة لك خطاياك».لقد كان يمكنهم أن يرجعوا بمريضهم من حيث أتوا. ألم يعملوا ما بوسعهم، فاستحال عليهم الوصول؟ على أن إصرارهم فتح أمامهم باباً للوصول إلى المسيح. وكما انتعش الرسول بولس

بمجئ انيسيفورس، لأنه طلبه بأوفر اجتهاد فوجده (2تي 17,16:1)، هكذا هؤلاء الرجال هنا أنعشوا المسيح!!وبالنسبة لنا، أحياناً يكون الوصول إلى المسيح أمراً سهلاً وميسوراً، لكن أحياناً أخرى تكون هناك حواجز من البشر تمنعنا من أن نصل إليه. هناك بعض الناس عندهم الرغبة لكن يعوزهم الإصرار، فنجدهم مع أول صعوبة تقابلهم يولون الأدبار. لكن هؤلاء الأربعة لم يكونوا كذلك.صديقي! هل أنت مستعد أن تأتي إلى المسيح إذا لم يكلفك مجيئك إليه شيئاً، أم أنك مستعد أن تأتي إليه مهما كلفك الأمر؟ هل المسيح في نظرك رخيص، أم إنه أغلى من كل غالي؟ هل إيمانك به سطحي، كالمزروع على الأرض المحجرة (متى 21,20:13)، أم إنه عميق؟ هل ستتمسك به دون سواه مهما قابلك؟ إن هذا يتطلب الإيمان. والذي لا يملك هذا الإيمان، لا يقدر أن يكمل المسيرة، بل يرتد، والله لا يُسر به (عبرانيين 38:10). لكن قيل عن هؤلاء الأربعة «رأى يسوع إيمانهم».وهؤلاء الأربعة يعلموننا أيضاً درساً هاماً، وهو الاهتمام بالآخرين. قد أكون أنا شخصياً صحيحاً وسليماً. لكن ماذا عن الآخرين المفلوجين المعذبين، التي تنطبق عليهم كلمات اشعياء «قد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا» (اش 6:64). وماذا عن الأطفال في الإيمان الذين تنطبق عليهم كلمات الرسول بولس «أطفال مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم» (أف 14:4). هؤلاء وأولئك هل نحملهم بالصلاة ونضعهم قدام المسيح ليشفيهم ويقيمهم؟!وفى الأربعة نجد الشركة في الخدمة. فما أعظم ما يستطيع الأربعة أن يعملوه. بل ما أعظم ما يستطيع الرب أن يعمل بهم. هل ننسى الأربعة الرجال البرص وما عمله الرب بهم؟ (2مل 7).والآن لنتحول إلى ذلك الإنسان المفلوج المسكين. لقد تحول إليه المسيح بكل الحنان والحب وقال له: «ثق يا بني. مغفورة لك خطاياك». «ثق». وتعني في الأصل اليوناني تشجع. وقد وردت سبع مرات في العهد الجديد، هنا نجد المرة الأولى.«ثق يا بني». لقب الإعزاز والمحبة. استخدمه هنا للمرة الأولى كما ورد في انجيل متى ومرقس ثم استخدمه مع المرأة نازفة الدم (مت 22:9 ؛ مر 34:4 ؛ لو 48:8).«مغفورة لك خطاياك». وبهذا فقد قدم له أثمن عطية، هي أغلى من كنوز الأرض كلها. فما قيمة أن تعيش ملكاً ثم تنحدر في النهاية إلى الهاوية. ولهذا قال داود الملك «طوبى للذي غُفر إثمه وسترت خطيته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية» (مز 1:32).

ولقد كان هذا القول من الرب على عكس ما توقع الجميع. لعلهم كانوا يتوقعون شفاءه. لأنه بحسب انجيل لوقا «كانت قوة الرب لشفائهم». فإذا بهم يسمعون الرب يقول للمفلوج «مغفورة لك خطاياك». لكن الرب الذي لا يخطئ كان له حكمة في ذلك.

أولاً: لأن شفاء النفس من الخطية أهم من شفاء الجسد من المرض. قال أليهو إن الله يؤدب الإنسان بالوجع على مضجعه ليمنع نفسه عن الحفرة، أي هلاك النفس الأبدي (أي 17:33-22)

ثانياً: لأن علة كل الأمراض هي الخطية. والرب جاء إلى العالم لا ليعالج الثمرة ويبقى الشجرة بل ليعالج الشجرة ذاتها. الثمار والجذور معاً. لهذا قال داود عن الرب «الذي يغفر جميع ذنوبك الذي يشفي كل أمراضك» (مز 3:103) اثنان فقط سمعا من فم

الرب هذا القول الحلو «مغفورة لك خطاياك». هذا الرجل المفلوج، والمرأة الخاطئة الوارد ذكرها في لوقا 48:7. وفي الحادثتين اعترض من اعترض وتذمر من تذمر. ولا زال حتى اليوم، لا في اليهودية فقط بل في المسيحية أيضاً، وليس أيام تجسد الرب فقط، بل أيضاً بعد أن أكمل كلفة الفداء ومضى إلى المجد ومن هناك أرسل الروح القدس. نعم لا زال المعترضون والمتذمرون. لكننا نشكر الله لأنه رغم الاعتراضات والتذمرات فإن رجالاً هنا ونساء هناك لا زالوا يتمتعون من الرب مباشرة بغفران الخطايا.

«وله يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا» (أع 43:10). فهل أنت واحد منهم؟!

بقيت لنا نظرة أخيرة على هؤلاء الكتبة والفريسيين المتذمرين. لقد قالوا في أنفسهم «هذا يجدف» «من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده». وهنا نجد أول اتهام للرب بالتجديف، ولن يكون الأخير.لكن هل المسيح يجدف؟! إننا نقول بكل احترام إن الله ما كان يمكنه لاعتبارات بره وقداسته أن يغفر الخطايا، لو لم يكن المسيح قد تجسد وجاء فعلاً كإنسان إلينا ليذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد! (عب 9:2).لقد قدم الرب لهم دليلاً مزدوجاً على أنه فعلاً الله غافر الذنوب. فهو أولاً: أثبت لهم أنه عرف أفكارهم التي فكروا بها في أنفسهم. ومن سوى الله يقدر أن يعرف أفكار الإنسان (مز 1:139).

ثانياً: سألهم قائلاً «أيما أيسر أن يُقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك أم أن يُقال قم واحمل سريرك وأمش. ولكن لتعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا(*) قال للمفلوج لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك. فقام للوقت وحمل السرير». ومرة ثانية برهن لهم بهذه المعجزة أنه هو الله.لكن يظل سؤال الرب: أيما أيسر؟ ربما فكر هؤلاء الأشرار أن القول مغفورة لك خطاياك أيسر جداً من القول قم واحمل سريرك وامش. لكنهم لو فكروا هكذا فهم بكل تأكيد مخطئون. فالمسيح باعتباره الله لم يكلفه إعطاء الشفاء سوى كلمة. لكن لكي يغفر الخطايا كلفه أن يذهب إلى صليب الجلجثة ليحمل نيابة عنا دينونة خطايانا. إن الشفاء لم يكلفه شيئاً بالمرة، أما الغفران فقد كلفه كل شئ!!«ففي الحال قام أمامهم وحمل ما كان مضطجعاً عليه ومضى إلى بيته وهو يمجد الله». إن ما كان في الماضي مظهر ضعفه، أصبح الآن شهادة لشفائه وصحته.

بل لقد أصبح سلوكه في طاعة لأمر المسيح دليلاً على أن خطاياه قد غُفرت. وهكذا دائماً الحياة التي تمجد الله، والسلوك في جدة الحياة، هي الدليل المنظور على أمر غير منظور هو غفران الخطايا. وبالأسف كم من أُناس يقبلون طريقة الله ويعكسون أقواله. أولئك الذين يحاولون بسلوكهم الحسن أن تُغفر خطاياهم. وكيف لمفلوج أن يسير إن لم يُشف أولاً. ومن أين لخاطئ أن يسلك حسناً ما لم تخلصه النعمة أولاً!دعهم، أولئك المصرِّين، دعهم في جهل أفكارهم. فلقد قال لهم الرب «اسلكوا بنور ناركم،

(*) ابن الإنسان الآن يغفر، لأنه كابن الإنسان قريباً سيدين (يو 27:5). ونلاحظ أن سلطانه للغفران هو على الأرض. ففي السماء لا حاجة للغفران، وفي الهاوية لا أمل في الغفران!

وبالشرار الذي أوقدتموه. من يدي صار لكم هذا. في الوجع تضطجعون» (اش 11:50). إنهم سيظلون بدون غفران وبدون قدرة على السير أو القيام. لا في هذه الحياة ولا في الأبدية أيضاً.

تأمل وتعليق

المعجزات تنتهي. أما المحبة التي تغفر الخطايا فهي لازالت باقية.

7.شفاء الرجب ذي اليد اليابسة (متى 12:9-13 ؛ مرقس 3:1-5 ؛ لوقا 6:6-11)

أول محاولة لقتل المسيح!

دخل الرب له المجد إلى مجمع اليهود في كفرناحوم يوم السبت حسب عادته، وهناك وجد رجلاً يده يابسة. ويضيف لوقا المدقق أن اليد اليمنى هي التي كانت يابسة. وإذ كان الرب قد سبق أن قام بمعجزة شفاء في نفس هذا المجمع يوم السبت (مر 1:21-28)، فقد صاروا يراقبونه ليروا هل يشفيه في السبت. إنهم على الأرجح لم يكونوا يشكون في قدرته على الشفاء، ويعرفون عنه رغبته في عمل الرحمة .. لكن تساؤل قلبهم الشرير كان: هل سيتجاسر مرة أخرى ويفعل ذلك في اليوم المقدس؟!أما صاحبنا المريض الذي أُصيب بيبس في أحد أطرافه، فكم هو مسكين إذ أصابه مرض لعين لا علاج له، يلازم المريض حتى يموت. ولزيادة بؤسه كان اليبس في اليد، اليد التي هي العضو الذي به نأخذ، ونمسك، ونعطي، ونعمل، ونسلم على الناس!ثم هي اليد اليمنى، التي في الكتاب المقدس تعبر عن القوة (خر 15:16 ؛ مت 26:64)، والخلاص (أي 40:14)، والحفظ (رؤ 1:16)، والبر (مز 48:10 قارن مع زك 3:1)، والمهارة (مز 137:5)، واللذات (مز 16:11)، والرضى (مز 45:9 ؛ مت 25:34) والشركة (غل 2:9)، والحب (نش 2:6). وشلل اليد اليمين يعني روحياً فقدان كل هذا. فهو روحياً عاجز، وهالك، وأثيم، وحزين، ومرفوض... الله لا يأخذ منه شيئاً، ولا يعطيه شيئاً!!ما أن دخل الرب المجمع حتى سألوه قائلين هل يحل الإبراء في السبوت، لكي يشتكوا عليه. لكن الرب إذ عرف أفكارهم فقد أقام الرجل في الوسط وأجاب على سؤالهم بسؤال: «هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر؟ تخليص نفس أو قتل؟ فسكتوا». فقال لهم: «أي إنسان منكم يكون له خروف واحد، فإن سقط هذا في السبت في حفرة أفما يمسكه ويقيمه؟ فالإنسان كم هو أفضل من الخروف». ثم نظر حوله إلى جميعهم، وإذ رأى إصرارهم على الرفض، فقد امتلأ بالغضب على غلاظة قلوبهم، وقال لهم: «إذاً يحل فعل الخير في السبوت» ... ثم التفت إلى الرجل وقال له مد يدك ففعل هكذا فعادت صحيحة كالأخرى، كلمة من الرب كان فيها العلاج !وفى العهد القديم نقرأ عن ملك يبس الله يده، تأديباً له على شره هو الملك يربعام، الذي مده يده

ليمسك رجل الله الذي تنبأ ضده في ذلك اليوم، فيبست يده في الحال ولم يستطيع أن يردها، ولما تضرع رجل الله إلى وجه الرب من أجل الملك رجعت يد الملك إليه وكانت كما في الأول (1 مل 13). أما الرب يسوع فلم يتضرع هنا إلى وجه الرب لأنه هو الرب .. لكنه «قال فكان، هو أمر فصار» (مز 33:9). ففارق كبير بين مجرد رجل لله يعمل معجزة وبين الله نفسه الذي تنازل وصار رجلاً (في 2:6-8 ؛ أع 2:22).ثم تأمل في خلاص الرب. إن الرب لم يعطه بعض المال صدقة، بل أعطاه القدرة لكي يشتغل بيديه ليحصل على احتياجه وهكذا فإن الخلاص ليس مجرد رحمة من الله الرحيم، يسامح بها الخاطئ على كمية من الخطايا كبيرة أو صغيرة، بل هي نعمة تخلص الإنسان من حالة العجز، العجز عن أن يرضي الله بسبب الخطية، وتمكنه أن يعبد الله أي يخدمه (1 تس 1:9) وأن يمارس «أعمالاً حسناً» (تي 3:8)، أعمالاً صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها (أف 2:10).إن ذلك البائس قبلاً ما كان يستطيع أن يعمل خلال أيام العمل، وما كان قادرا أن يرتاح خلال السبت. لكن بعد ما تقابل مع الرب الشافي قدر أن يعمل، وأمكنه أن يرتاح.لقد كانوا يراقبونه .. ولكن علام المراقبة؟! لقد قال للمريض قم وقف في الوسط. إن الرب له المجد لم يفعل شيئاً واحداً في زاوية، بل صنع كل شئ جهراً أمام الجميع. ولأنه كان أمامه أن يعمل مشيئة الذي أرسله، فقد عملها في السبت وفي غيره (يو 4:9)، سواء أعجب الإنسان تصرفه هذا أو لم يعجبه.لقد تمت فيهم كلمات المزمور «علىّ كل أفكارهم بالشر. يجتمعون. يختفون. يلاحظون خطواتي عندما ترصدوا نفسي» (مز 6,5:56). لكنه باعتباره النور فضح قلبهم الشرير. فأظهر لهم أنه لا يكف عن فعل الخير حتى في يوم الراحة وأنهم هم لا يكفون عن فعل الشر حتى في اليوم المقدس.بعد ما أسكتهم الرب، وبعد ما قام له المجد بالشفاء، خرجوا للوقت وتشاوروا عليه لكي يهلكوه. أولئك الذين استكثروا عمل الخير حفاظاً على مظهر وصية لم يكن لديهم مانع أن يتشاوروا للقتل والهلاك يوم السبت. ولقد كان الرب وكأنه يقرأ أفكارهم عندما سألهم «هل يحل في السبت فعل الخير أم فعل الشر؟ تخليص نفس أو قتل؟».إن أصحاح 12 من انجيل متى نجد فيه أول إشارة للسبت في العهد الجديد ويرتبط بذلك لقب المسيح «ابن الإنسان» – المرفوض من الناس – انظر متى 20:8 و 3:16. كما يرتبط بالمحاولة الأولى لقتله.سبت وقتل!!

وأليس هذا ما قاله الرب على لسان اشعياء «رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف .. أيديكم ملآنة دماً. اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينيّ، كفوا عن فعل الشر..» (اش 1:13-16). لكنهم ظلوا بهذا الخليط .. تدين وشر معاً. ويا له من خليط!! وسار تدينهم هذا جنباً إلى جنب مع قلبهم الشرير، حتى الصليب عندما أسلموه حسداً، وشهدوا عليه شهادات الزور .. لكنهم رفضوا أن يدخلوا دار الولاية، حيث بيلاطس البنطي الوالي، لئلا يتنجسوا!!«ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين» (يه 11) الذي هو أول متدين وأول قاتل. أما أتباعهم فهم مستمرون حتى النهاية .. أولئك المرائين، الذين أقوالهم كاذبة

وضمائرهم موسومة (1تي 2:4).هؤلاء هم قساة القلوب المتعصبون للسبت! إن السبت معناه راحة، لكن الراحة بعيدة عنهم كل البعد

«هم شعب ضال قلبهم .. فأقسمت في غضبي لا يدخلون راحتي» (مز 95:10,11).

تأمل وتعليق

«نظر حوله إليهم بغضب، حزيناً على غلاظة قلوبهم» (مر3:5).

الرب نظر حوله في انجيل مرقس، في سبعة مواقف مختلفة. هنا نجد النظرة الأولى.

2. «نظر حوله إلى الجالسين وقال ها أمي وإخوتي» (3:34)

3. «كان ينظر حوله ليرى التي فعلت هذا .. فقال لها يا ابنة إيمانك قد شفاك» (5:32-34).

4. «التفت وأبصر تلاميذه فانتهر بطرس قائلاً اذهب عني يا شيطان» (8:32).

5. «فنظر إليه يسوع وأحبه. وقال له يعوزك شئ واحد .. اذهب بع كل ما لك .. فاغتم على القول ومضى حزيناً .. فنظر يسوع

حوله وقال لتلاميذه ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله» (10:21-23).

6. «فنظر إليهم يسوع وقال عند الناس غير مستطاع. ولكن ليس عند الله. لأن كل شئ مستطاع عند الله» (10:27).

7. «فدخل يسوع أورشليم والهيكل. ولما نظر حوله إلى كل شئ .. خرج إلى بيت عنيا مع الاثنى عشر» (11:11).

8. مريض بركة بيت حسدا (يوحنا 5:1-18)

معجزة شفاء أقدم مريض!

فهذه المعجزة بحسب ما نعرف من كلمة الله، شُفى فيها أقدم مريض على الإطلاق ظل حبيس فراش المرض لمدة 38 سنة.

وكان هذا المريض موجوداً ضمن جمهور كبير من مرضى وعمي وعرج وعسم* بجوار بِركة في أورشليم يُقال لها بيت حسدا.

وهي كلمة عبرانية تعني بيت الرحمة. وفي هذه البِركة كان ملاك ينزل من السماء أحياناً ويحرك الماء، فمن ينزل أولاً بعد تحريك

الماء كان يبرأ من أي مرض اعتراه.لم يكن السر في عدم شفاء هذا المريض طوال تلك المدة يرجع إلى عدم رغبته في الشفاء، بل

بالحري لعدم قدرته. وعندما سأله الرب «أتريد أن تبرأ؟» كأنه قصد أن يحيي فيه الأمل الذي مات منذ تعاقبت عليه الأيام والشهور

والسنون وهو في نفس موقعه .. والرجل في إجابته أوضح للرب أن الأمر بعيد المنال عليه إذ قال «يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في

* وتعني يابس اليد أو الرجل أو كليهما.

البِركة متى تحرك الماء، بل بينما أنا آت ينزل قدامي آخر».إن هذا المريض التعس يصور لنا حالة الإنسان العاجز على أن يعمل ما يرضي الله. فمع أن الإنسان كثيراً ما يرغب، لكن المشكلة تكمن في أنه لا يقدر. إننا نريد لكننا لا نستطيع. والأعمال والممارسات الدينية تفترض القوة في الإنسان ولا تمنحه إياها، فأي أمل إذاً من وراء إتباع الخاطئ إياها؟! لكن شكراً للرب الذي أتي ليخلص الخطاة، وهذا ما نربصورته في هذه المعجزة.يقول البشير عن صاحبنا «هذا رآه يسوع وعلم أن له زماناً كثيراً. فقال له أتريد أن تبرأ؟» والرب يسوع أيضاً يراك أنت، ويعلم مشكلتك التي ربما تحاول إخفائها عن أقرب من لك. بل إنه يريد أيضاً مساعدتك، لذا فإنه يقول لك، كما قال لذلك المريض «أتريد أن تبرأ؟»لم يكن ذلك المريض يعلم أن الذي يسأل هذا السؤال هو رب البِركة ورب الملائكة. الذي تواضع وتنازل ووصل إلى حيث المرضى الكثيرين. وأنه بكلمة واحدة قادر أن يشفيه. ولهذا قال له «يا سيد ليس لي إنسان يلقيني في البِركة متى تحرك الماء بل بينما أنا آت ينزل قدامي آخر. قال له يسوع: قم احمل سريرك وامش. فحالاً برئ الإنسان وحمل سريره ومشى». وكان ذلك اليوم يوم سبت.والآن دعنا أيها القارئ العزيز نتأمل معاً عدة مناظر متنوعة:

المنظر الأول، منظر جميل، إنه منظر الرب نفسه له المجد، ذاك الذي في العيد اتجه إلى بيت الرحمة ليلتقي بإنسان بائس، به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة. والرب في انجيل يوحنا لا نجده محاط بجماهير غفيرة طالبة الشفاء منه، أو الاستماع إلى تعاليمه (كما في باقي الأناجيل)، بل نجده وحيداً يبحث عن النفوس البائسة ليخلصها ويسعدها، فيلتقي مع نيقوديموس (ص3)، ويلتقي مع السامرية (ص4)، ويلتقي مع المرأة الزانية (ص8)، ويلتقي مع المولود أعمى (ص9). وهنا يلتقي بذلك العليل القديم ... إنه ابن الله العظيم، لكنه الذي يهتم بكل واحد على حده.صديقي! لقد حاول الكثيرون أن يلاشوا هذا اللقاء الشخصي بين النفس والمسيح، مدعين بأنهم هم الذين يوزعون الخلاص نيابة عن المسيح. كلا، كلا. أنت في حاجة أكيدة إلى مثل هذا اللقاء الفردي الذي تم هنا بين هذا المريض وبين الطبيب العظيم. ولقد بدأ الرب بالحديث بهذا السؤال المباشر «أتريد أن تبرأ؟»، بغض النظر عن البِركة أو الملاك .. وأنت أيها الصديق العزيز، هل تثق فيه وحده..لقد بدأ الرب الحديث بهذا السؤال البسيط المباشر: «أتريد أن تبرأ؟»، بغض النظر عن البِركة أو الملاك .. إن الرب يسوع وهو بجوار البِركة لا يعتبر تكميلاً للصورة بل على العكس هو في موضع المفارقة منها. تماماً كما نجد في الرسالة إلى العبرانيين: المسيح وحده في جانب، وكل النظام القديم في جانب آخر. فالمسيح قد نحى جانباً كل ذلك النظام.

وبداية مفارقات الرسالة إلى العبرانيين هي المفارقة بين الملائكة والمسيح. إنه أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم .. ولهذا فقد كان الملاك ينزل أحياناً، لكن المسيح لا يتغير أبداً .. في أول الرسالة يقول الآب عن المسيح «أنت أنت وسنوك لن تفنى»، وفي نهايتها يقول الروح القدس عن شخصه الكريم «هو هو أمساً واليوم والى الأبد» (عب 12:1 ؛ 8:13).كان تفكير ذلك

المُقعد أولاً محصوراً في البِركة، ولم يكن يخطر بباله أنه يمكن أن يكون لمثله شفاء بعيداً عن البِركة. لما سأله الرب أتريد أن تبرأ؟ كانت إجابته «ليس لي إنسان يلقيني في البِركة».. لقد ظل إلى جوارها 38 سنة بلا فائدة ومع ذلك ظل متعلقاً بأهداب الأمل فيها. ويقيناً كان سيقضي ما بقى له من عمر إلى جوارها، لو لم يكن قد حضر إليه ابن الله ومعه الشفاء.أية رسالة يحملها هذا الإنسان للجموع وهو يحمل السرير! صحيح لقد حدثت مشكلة من حمله السرير لأن ذلك اليوم كان سبت. لكن كم من سبوت مرت على ذلك البائس وهو في تعب، وكم من أعياد مرت عليه وهو في كمد. لكن أتاه الشافي العجيب وبدون حاجة إلى انتظار ملاك، ولا مساعدة إنسان .. نعم بدون ملاك ولا بِركة، بل مجرد سؤال محدد «أتريد أن تبرأ؟» أعقبه أمر يحمل القوة معه «قم احمل سريرك وأمش».لكن دعنا ننتقل الآن إلى المنظر الثالث، وهو بالحق منظر محيّر، وأعني به منظر أولئك المرضى الكثيرين في البِركة. ألم يروا ما حدث لزميلهم؟ ألم يشاهدوه وهو يحمل سريره ويمشي، دون ملاك أو بِركة؟ لماذا لم يطلبوا الشفاء من المسيح؟ عجباً من ديانة الإنسان!! جمهور كبير حول البِركة منتظراً ملاكاً (ع13,3)، أما رب البِركة ورب الملائكة فهو غير مرغوب فيه. وعليه أن يعرض نفسه، ويبسط يديه طول النهار، وليس من يبالى (أم 25,24:1 ؛ اش 2:65). لكني اعتقد أن الملاك لم ينزل مطلقاً بعد هذا التاريخ. فإن كانوا قد استهانوا بخالق الملائكة وقد أتى إليهم بنفسه، فأي أمل لهم بعد؟! فليظلوا باقي عمرهم بلا شفاء أو رجاء!يبقى المنظر الأخير المحزن، وهو منظر اليهود الذين لما رأوا ذلك المقعد يحمل سريره بعد طول مرض، فإنهم قالوا له لا يحل لك أن تحمل سريرك. لقد تركوا المعجزة العظيمة وانشغلوا بالسبت، تركوا المخلص وانشغلوا بالطقوس. مرة أخرى يا لديانة الإنسان!ولما أجابهم ذلك الإنسان أن الذي أبرأني هو الذي قال لي احمل سريرك وامش، لم يسألوا عن الذي أبرأه، بل من هو الإنسان الذي قال له احمل سريرك وامش!وكم يعمي التدين والتعصب أذهان البشر. ألا تلمس الجهل والحقد في سؤالهم؟ أكان يوجد في وسطهم عدد كبير يستطيع أن يعمل مثل هذه المعجزة؟! لكنه التعصب الذي يعمي البصيرة!!

تأمل وتعليق

الاصحاح الخامس من انجيل يوحنا هو اصحاح الخماسيات .

في بدايته نجد بِركة بيت حسدا بأروقتها الخمسة.وهو يحدثنا عن خمس وظائف للرب له المجد: عامل (ع17)، معطي الحياة (ع21)، مقيم الأموات (ع29,28)، ديان (ع22)، شاهد (ع31 قارن 14:8).

وفيه أيضاً نجد خمس شهادات للمسيح: المسيح نفسه (ع31)، يوحنا المعمدان (ع33)، الأعمال (ع36)، الآب (ع37)، الكتب: أي أسفار العهد القديم (ع39).وفيه نجد أن اسم الله يتكرر 5 مرات، واسم الابن يتكرر 10 مرات (2×5)، واسم الآب

يتكرر 15 مرة (3×5).وفي منتصفه ترد الآية المباركة (ع24) بحلقاتها الذهبية الخمس: من يسمع كلامي – ويؤمن بالذي أرسلني – فله حياة أبدية – ولا يأتي إلى دينونة – بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.

(أ. فان – راين)

9. نازفة الدم (متى 9:20–22 ؛ مرقس 5:25–34 ؛ لوقا 8:43–48)

أسهل معجزة!

قام الرب يسوع بها وهو في الطريق دون أن يُطلب منه شئ. كل ما في الموضوع أن مريضة آمنت بالمسيح، بمحبته وقدرته، وكان إيمانها هكذا بسيطاً، فقالت في نفسها لو مسست ثوبه فقط شُفيت .. وهكذا كان. فبينما كانت جموع كثيرة تزحم الرب في الطريق، اندست هذه وسط الجموع، ولمست هدب ثوبه فنالت الشفاء في الحال!كانت علة هذه المرأة هي نزف الدم. ونزف الدم كان نجاسة بحسب الشريعة (لا 15). كما أنه أيضاً موت بطئ. لقد سبق أن تأملنا البرص، ورأينا فيه صورة لنجاسة الخطية التي تحرم الإنسان من الله وشعبه. ونزف الدم بالإضافة إلى ذلك هو أيضاً استنزاف لعصارة الحياة ..ولقد رأينا في المرض السابق (الفالج) صورة لعجز الإنسان عن أن يخلص نفسه (رو 5:6 ؛ 8:3)، وسنرى في هذا المرض صورة لعجز الإنسان عن تخليص غيره.فهذه المرأة لم تترك باباً إلا وطرقته علها تعالج نفسها. ويقول الكتاب «تألمت كثيراً من أطباء كثيرين، وأنفقت كل ما عندها ولم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال أردأ».

لاحظ هذه الثلاثية: أنفقت، تالمت، لم

فهي أولاً لم تبخل في علاج نفسها. لكنها ذهبت من طبيب إلى آخر، فعالجها أطباء كثيرون. ومع أن الكتاب المقدس لم يخبرنا عن مبلغ غنى هذه المرأة، لكنه قال لنا أنها أنفقت كل ما عندها. وما قيمة المال بعد ضياع الصحة؟ وما قيمته بعد ضياع الحياة؟ «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي فداء عن نفسه» (مت 16:26).ثم أنها أيضاً تألمت. فالعلاج البشري لم يكلفها فقط مالاً، بل سبب لها أيضاً آلاماً. قال أيوب لأصحابه الذين أرادوا تشخيص الداء ووصف الدواء له «أطباء بطالون كلكم» (أي 13:4)، فلقد ضاعفوا أوجاعه بدل أن يخففوها. وفي المجال الروحي قال داود «تكثر أوجاعهم الذين أسرعوا وراء آخر» (مز 16:4).

وأما الأمر الثالث فهي أنها لم تنتفع شيئاً بل صارت إلى حال أردأ. لقد صرفت الكل، وتألمت كثيراً. ويا ليت المرض تحسن ولو قليلاً، بل يا ليته ثبت على ما كان. إنها للأسف كانت تصير من ردئ إلى أردأ.والواقع أن ما يُقال عن محاولات شفاء هذه المرأة

من علتها يُقال روحياً عن كل محاولات البشر العقيمة لوقف نزف الخطية من الإنسان. فكم من بشر ينتظرون الخلاص من عند البشر .. مساكين! إنهم مثل تلك المريضة تحت أيدي أولئك الأطباء البطالين. ومع أنهم لا يعطون لمرضاهم الشفاء الروحي، فهم لا يتورعون عن استنزاف أموال الرعية الضالة البائسة (انظر مر 40:12 ؛ حز 2:34-4)، فيصل الحال بمرضاهم إلى حد الافتقار والتسول. وتصل بهم الأمور إلى أردأ .وهكذا حدث مع تلك المرأة البائسة، لكنه بعد أن أعيتها الحيلة، وبعد أن فرغت جعبتها وبعد أن أفلست جيوبها دون نفع ولا طائل، فقد وصل إلى مسامعها خبر عن يسوع، الطبيب العظيم وقدرته غير العادية على الشفاء من كل الأمراض. لكن كيف تذهب إليه وقد غدت مفلسة؟! لا يهم، فهذا الطبيب العجيب لا يتقاضى عن شفائه أجراً. إن كل عطاياه «مجاناً» (رؤ 6:21). «بلا فضة وبلا ثمن» (اش 1:55). جدير به، له المجد، أن يقول «ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو 27:14).يقول الوحي «لما سمعت بيسوع جاءت في الجمع من وراء ومست ثوبه». قليلون هم الذين صدقوا الخبر، وآمنوا بالمسيح في يومه. لقد تمت في الجموع نبوة إشعياء «من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب» (اش 1:53 ؛ يو 38:12). لكن هذه المرأة كانت من هؤلاء القليلين. ففيها تمت كلمات ترنيمة جون نيوتن العذبة، ذاك الذي كان قبلاً كافراً ومستبيحاً، وإذ خلصته نعمة الله، فقد كرس حياته يتغنى بنعمة المسيح، ويشهد له. قال جون نيوتن في مطلع إحدى ترنيماته:

إسم يسوع قد حلا لمسمع المؤمن ..... يشفي جراح المُبتلي والخوف يستأمن

وبمجرد أن لمست هذه المرأة ثوب المسيح «للوقت جف ينبوع دمها، وعلمت (أحست) في جسمها أنها قد برأت من الداء».شفاء لحظي، شفاء كامل وأبدي، شفاء مجاني .. هذا هو شفاء الرب.لقد ظلت هذه المرأة اثنتي عشرة سنة تبحث عن الشفاء وكأنها وراء السراب كانت تجري، لأنها كانت تطلب الشفاء من البشر. لكن مقابلة واحدة مع المسيح كان فيها كل الكفاية!!والإحساس بالشفاء لا يسبق الإيمان بل يتبعه. فأنت لن تشعر بالخلاص إلا إذا خلصت، ولن تخلص إلا إذا آمنت. أمن تخلص، واخلص تشعر .لكن هذه المرأة لدهشتها، رأت الرب يتوقف ويتلفت حوله، ثم يسأل سؤالاً لم تتوقعه. لقد قال «من لمس ثيابي؟». لم يعجب التلاميذ هذا السؤال فقالوا للرب «أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسني». لكن الرب ظل يبحث عن الذي لمس ثيابه .. «فجاءت المرأة وهي خائفة ومرتعدة، عالمة بما حصل لها. فخرت وقالت له الحق كله.فقال لها ثقي يا ابنة[*] إيمانك قد شفاك اذهبي بسلام وكوني صحيحة من دائك».

لقد سأل الرب سؤاله العجيب هذا لأغراض ثلاثة. أولاً لفائدة المرأة، ثم لفائدة التلاميذ والجمع، وأخيراً لفائدتنا نحن.

(*) سبق أن قال الرب كلاماً مشابهاً للمفلوج (المعجزة رقم 6)، فراجع التعليق عليها.

فالرب أراد أن تذهب هذه المرأة إلى بيتها ليس فقط متمتعة بالشفاء الجسدي، بل بما هو أفضل وأهم، ببركة السلام لنفسها وروحها «اذهبي بسلام». لقد جاءت مريضة وها هي تذهب من أمامه صحيحة .. وجاءت أيضاً «خائفة ومرتعدة» وها هو يقول لها «اذهبي بسلام»!إيمانها شفاها، ولكن كلمته ملأت قلبها بالثقة. إيمانها جعلها تحصل على البركة والخلاص، لكن اعترافها أمام الجموع ثبت وأكد لقلبها هذا الخلاص!ثم إن الرب أراد أن يعلِّم تلاميذه والجموع درساً هاماً جداً، وهو أنه عليم بكل شئ. فلا شئ يمكن أن يختفي عنه على الإطلاق، لا كلمة في لساني، ولا لمسة من أصابعي!وذاك الذي رأى إيمان هذه المرأة وأحس بلمستها، وانتعش برعشتها، ألم يكن يرى أيضاً عدم إيمان الجموع، وألم يكن يحس بضغوط فضولهم؟! وألم يحزن قلبه الودود تزاحمهم حوله لمجرد حب الاستطلاع دون أدني شعور في نفوسهم بتعطش أو جوع؟!

لكن الرب قصد أن يعلمنا نحن أيضاً درساً هاماً جداً. فلم تكن اللمسة سر الشفاء. ولهذا فنحن لا نقدس الآن بقايا ثياب المسيح ولا بقايا ثياب الشهداء و القديسين. فمن كلمة الله نعرف أن هذه كلها أمور وثنية تحول القلب عن الرب مصدر البركة الوحيد، ذاك الذي قال «مجدي لا أعطيه لآخر» (اش 8:42).لقد آلت ثياب المسيح كلها إلى العسكر الأشرار عند الصليب (يو 34,24,23:19). ولو كان في الثياب أي خير يُرجى لكان الله رتب أن يحتفظ تلاميذ المسيح ببقايا ثيابه. لكن أبداً، إنها كلها إلى الأشرار قد ذهبت وهم لم ينتفعوا منها شيئاً على الإطلاق. ولهذا أوقف الرب هذه المرأة ليقول لها، ولنا من خلالها: ليست لمستك لثيابي هي التي أعطتك الشفاء كما ظننتي، بل «إيمانك قد شفاكِ».

تأمل وتعليق

في الناموس كان الذي يلمس يموت (خروج 19:10-13 ؛ عبرانيين 12:18-21)، ولكن في النعمة الذي يلمس ينال الشفاء.

10. شفاء المستقي (لوقا 14:1-6)

معجزة ومشابهة!

هذه معجزة أخرى حدثت في يوم سبت، فيها شفى الرب رجلاً مستسقياً.والاستسقاء في لغة الطب ليس مرضاً بقدر ما هو مظهر خارجي لحالة مرضية داخلية (في الكلى أو القلب) تجعل الإنسان شرهاً للماء فيشرب منه بكثرة. وسبب ذلك لأن الماء لا يأخذ مسلكه الطبيعي إلى الدم لفائدة الجسم، بل يتجمع في أنسجة الجسم في مناطق معينة، مكوناً انتفاخاً أو ورماً في هذا الجزء.ويا لها من صورة للخطية. فالخطية لا تجعل مرتكبها يرتوي قط أو يشعر بالاكتفاء. فلاعب القمار مثلاً لا يتعظ أبداً ولو فرغ آخر قرش من جيبه، وشارب الخمر «يقول ضربوني ولم أتوجع، لقد لكأوني ولم اعرف. متى استيقظت أعود أطلبها بعد» (أم 35:23). وكذلك

الذي يجري وراء شهوات الجسد، أو وراء صنم المال ... الخ.أو لم تلاحظ أيها القارئ انتفاخ وأورام أهل الدنيا، الذين نصيبهم في حياتهم؟ أولئك الذين جحظت عيونهم من الشحم (مز 7:73). جسمهم سمين (مز 4:73)، وقلبهم سمين (مز 10:17). هؤلاء في نظر الله مصابون بالاستسقاء.وهو أيضاً تصوير للخطية التي تجعل الناس يأخذون من أمور الدنيا ما لا يلزمهم فقط، بل ما يزيد عن حاجتهم كثيراً، فيكومون ويخزنون. أولئك الذين قال عنهم يعقوب «قد كنزتم في الأيام الأخيرة» (يع 3:5). وقال عنهم سليمان الحكيم «أما الخاطئ فيعطيه شغل الجمع والتكويم» (جا 26:2).هذا التكدس الزائد عن الحد يسبب انتفاخاً. فهناك من يجعلهم العلم الزائد منتفخين (1كو 1:8). وهناك من ينتفخون بسبب الفلسفة (كو 18:2)، أو المال (1تي 17:6) أو أي امتياز كان (1كو 6:4 ؛ 2:5).يقول الوحي «وإذ جاء إلى بيت أحد رؤساء الفريسيين في السبت ليأكل خبزاً، كانوا يراقبونه. وإذا إنسان مستسق كان قدامه». لقد كانوا يريدون أن يروا ما الذي سيفعله به: هل سيتركه وشأنه أم سيشفيه في السبت؟ وقول الكتاب بعد ذلك «فأجاب يسوع وكلم الناموسيين والفريسيين» يدل على أن هذا الشخص كان موضوعاً عن قصد أمام المسيح كعلامة استفهام ليجاوب عليها المسيح.لكن الرب أثبت لهؤلاء المراقبين العميان! (اش 10:56)، أنهم مجرد تلاميذ أغبياء. إذ كانت إجابته سؤالاً، طالما سألهم إياه، وطالما امتنعوا عن الإجابة عليه. لقد قال لهم «هل يحل الإبراء في السبت؟ فسكتوا».إنهم لم يقدروا أن يجدوا دليلاً واحداً من التوراة يمنع الشفاء يوم السبت. فلماذا إذاً لم يجيبوا؟ السبب لأن قلبهم الشرير كان يتمنى ألا يشفي الرب في يوم السبت رغم أنه لم يكن لديهم دليلاً على خطأ هذا الفعل.لكن هل قلب الإنسان الشرير الغليظ يقدر أن يوقف تيار النعمة الغنية المتدفق من قلب الرب يسوع؟! أيمكن أن يكون أمام الرب صورة للبؤس مثل هذه ولا يتقدم لشفائها؟! لذا نقرأ: «فأمسكه وأبرأه وأطلقه».

أمسكه : ليقيله من عثرته.

وأبرأه : لأنه هو الرب شافينا، الذي يشفي كل أمراضنا.

وأطلقه : حله من سجن مرضه، ذاك الذي لم يكن يشرب بإرادته بل مجبراً. فكان عبداً للماء، كما يوجد اليوم الملايين مستعبدين لهذا الأمر أو لتلك العادة. أطلقه لأنه قال عن نفسه «روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين. أرسلني .. لأنادي للمأسورين بالإطلاق» (لو 18:4).وبعد أن شفاه أجاب الموجودين وقال لهم «من منكم يسقط حماره أو ثوره في بئر ينشله حالاً في يوم السبت. فلم يقدروا أن يجيبوه عن ذلك».

ولقد سبق للرب أن ذكر الثور والحمار في حديث سابق مع رئيس المجمع في لوقا 15:13. الأمر الذي يذكرنا بكلامه له المجد عن شعب إسرائيل «الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف، شعبي لا يفهم» (اش 3:1).لكننا نلاحظ أن

الرب في حديثه السابق ذكر الثور أولاً ثم الحمار: الطاهر ثم النجس. نفس الترتيب الذي ذكره إشعياء. لكن هذه المرة، وقد تدهورت حالتهم، فقد ذكر الحمار أولاً.ثم إنه في المرة السابقة أشار إلى حاجة الحياة الضرورية «ألا يحل كل واحد منكم في السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضي به ويسقيه». لكن حديثه هذه المرة لم يكن عن الحاجة الضرورية للحياة، بل إلى ورطة تحتاج إلى إنقاذ عاجل، وإلا فأمامه الموت «ينشله حالاً». إن ذلك المستسقى لم يكن محتاجاً لمن يحله ويسقيه، فمشكلته هي كثرة الشرب. لقد سقط في بئر، وسيغرق إن لم ينقذه حالاً.وهل عندما يسقط إنسان في البئر يقدر أن ينقذ نفسه؟! ألا يحتاج لمن ينقذه.؟ فإذا جاء المنقذ هل يرجئ إنقاذه إلى ما بعد السبت؟! هل ثمة معنى للسبت أو الراحة لشخص ساقط في بئر؟! أتوجد راحة في بئر الشهوات؟! (قارن مي 10:2).

تأمل وتعليق

لماذا عمل الرب كثيراً من معجزاته يوم السبت؟

لأن السبت يعني راحة. والمحبة لا تقدر أن ترتاح حيث ينبغي أن تمارس الدينونة .. إنها تبادر لتعمل. والعمل ليس راحة. أما الإنسان المسكين فإنه لم يقدر أن يرتاح مع الله بالناموس ولم يرد أن تكون له هذه الراحة بالنعمة .. مسكين الإنسان لأنه في غير توافق مع الله في كل الأحوال!!

(داربى)

11. شفاء الأصم الأعقد (مرقس 7:31-37)

إفَّثا! أو شفاء الرب لمرض مركب.

حدثت هذه المعجزة في وسط حدود العشر المدن، في الطرف الشرقي من بحر الجليل، أي بحر طبرية، حيث جاءوا إلى الرب بأصم أعقد (لا يسمع ولا يحسن الكلام)، وطلبوا إليه أن يضع يده عليه .. فأخذه الرب من بين الجمع على ناحية .. ووضع أصابعه في أذنيه، وتفل، ولمس لسانه .. وقال انفتح. فانفتحت أذناه وانحل رباط لسانه وتكلم مستقيماً.لقد مر بنا حتى الآن خمس علل، تعطينا صوراً متنوعة لما سببته الخطية في الإنسان. وبهذه المعجزة تكتمل العلل إلى سبع. فنحن في هذه المعجزة أمام مرض مركب، صمم وتعقيد.هذا الرجل موضوع هذه المعجزة كان بالأسف أدنى من الحيوان، الذي مع أنه لا يتكلم لكنه يسمع (اش 1:2,3). وهو بهذا يعطينا صورة مذلة لحالة الإنسان أدبياً وروحياً أمام الله نتيجة السقوط. فاعتباراً من الجنة فقد الإنسان الأذن التي تسمع الله عندما أعطاها بكل أسف للشيطان عدو الإنسان. ومن وقتها أصبح عند الإنسان استعداد ورغبة أن يسمع أي شئ، بل وكل شئ (جا 1:8)، إلا كلام الله .. جاءت بداية الناموس هكذا «اسمع يا إسرائيل» (تث 6:4) لكن الرب بعد ذلك بقرون يقول بأسف «لو سمع

شعبي لي» (مز 13:81). نعم فلم يعد الإنسان في حالته الطبيعية براغب ولا بقادر أن يسمع الله.وكما أن أذن الإنسان لا تسمع، هكذا لسانه أيضاً لا يحسن النطق «تحت لسانه مشقة وإثم» (مز 7:10).هذا هو المرض. وهو مرض مستعصي. لكنهم إذ سمعوا عن وصول الطبيب العجيب، فقد جاءوا إلى الرب يسوع .. ويا من تعاني من أي مرض أياً كان نوعه، حتى ولو كان مرضاً مركباً، لماذا تبقى مريضاً والطبيب قريب؟ لقد وصل قديماً إلى حدود العشر المدن، لكنه الآن أقرب إليك. إنه يقرع باب قلبك!والرب لكي يشفي هذا المريض فقد أخذه من بين الجميع على ناحية كأنه أراد أن ينفرد به بعيداً عن الناس. وهذه أول معجزة يتصرف الرب فيها هكذا. فلماذا؟ إن جو الأصحاح نفسه (مر 7) يعطينا الإجابة على هذا التساؤل.فهذا الأصحاح يبتدئ بالمرائين الذي لاموا التلاميذ لأنهم لا يغسلون أيديهم بحسب تقليد الشيوخ. والمسيح فضح رياءهم وزيفهم، وقال عنهم كلمات إشعياء «هذا الشعب يكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً». فهم لهم صورة التقوى لكنهم منكرون قوتها (2تي 5:3). والرب تركهم، ثم لما رجع إليهم بعد ذلك، قدموا إليه هذا الشخص. وهو له أذنان، وله لسان، لكنه لا يسمع ولا يحسن الكلام. صورته الخارجية لا تجعلك تميزه عن الآخرين. أو هو له المظهر الخارجي دون الجوهر. إذاً فهو ترجمة عملية لما قاله الرب في أول الأصحاح عن أولئك المتدينين.ما الذي يحتاجه إذاً الشخص المتدين المرائي، الذي أعماه التقليد؟ إنه يحتاج إلى لقاء فردي شخصي، بعيداً عن الناس، مع المخلص. إن طامة مثل ذلك الشخص، بل وطامته الكبرى هي اهتمامه بالناس ورأيهم فيه. ولهذا انتحى الرب هذه المرة بالمريض بعيداً، ووضع يديه على أذنيه كأنه يقول له: تحول عن الناس وأقوالهم تماماً، لا تنشغل بآرائهم فيك، فتنال مني الشفاء!!والرب في شفاء هذا المريض بدأ أولاً بالأذن، ثم بعد ذلك باللسان. فأولاً يجب على الإنسان أن يستمع إلى صوت الله، وبعد ذلك يمكنه أن يتكلم معه. كثيرون تجد لديهم ولع بالكلام دون رغبة في الاستماع. إن علة سقوط الإنسان في البداية، في الجنة، كانت هي عدم استماع الإنسان لله. والآن أساس خلاصه وبركته هو استماعه لكلام الله وإيمانه به (يو 24:5 ؛ رو 17:10).وإذا أخذنا الرسول بولس كمثال (1تي 16:1)، ذاك الذي قبل اهتدائه كان شاول الطرسوسي، فإنه أولاً سأل الرب «ماذا تريد أن أفعل؟». لقد فتح أذنيه ليسمع. من ثم قدر أن يتكلم صحيحاً «لأنه هوذا يصلي» (أع 11,6:9). والرب قبل أن يشفي هذا المريض، رفع نظره نحو السماء وأنّ. فلقد كانت السماء بالنسبة لهذا الخادم العجيب هي دائماً المصدر الذي يستجلب منه البركة والعزاء للعالم الحزين وللأرض الملعونة. لكنه أيضاً أنّ، ذلك أنه لم يكن يشفي مستخدماً قدرته فقط دون أن يتأثر بعواطفه. فذاك الذي اضطرب بالروح، وانزعج، وبكى عند قبر لعازر، هو الذي عندما رأى هذا الإنسان البائس الشقي، الذي جعلته الخطية في مرتبة أقل من الحيوان، كما قلنا، فإنه – تبارك اسمه – أنّ. لقد رأى في ذلك الشقي صورة لكل ما سببته الخطية من أحزان للخليقة التي كانت يوماً حسنة جداً (تك 31:1)، وللإنسان الذي خلقه الله على صورته كشبهه (تك 27:1). وذاك الذي «أشرف من علو قدسه .. ليسمع أنين الأسير» (مز 19:102)، والذي إذ سمع

أنينه فقد نزل لكي يخلصهم (خر 8,7:3)، فإنه لكي يرفع عنا الأنين، ولكي يخلصنا منه إلى الأبد، كان عليه هو أن يئن ويبكي على أرضنا، ويحزن جداً حتى الموت في جثسيماني، ويصرخ الصرخة المرة في الجلجثة!!لكنه بعد ذلك قال «افثا»(*) وكما أمر الريح فسكتت (مر 39:4)، وكما انتهر الحمى فهربت (لو 39:4)، هكذا هنا .. كلمة واحدة كان فيها كل الكفاية!!أما الناس الذين شاهدوا هذا العمل فإنهم لم يتمالكوا أنفسهم. لقد بهتوا إلى الغاية قائلين إنه عمل كل شئ حسناً، جعل الصم يسمعون والخرس يتكلمون. معجزة واحدة للسيد جعلت الجموع تقول هكذا. فما الذي يمكن أن نقوله نحن إذا تأملنا في كل أعمال الله من البداية، حتى نصل بفكرنا إلى السموات الجديدة والأرض الجديدة، عندما يتم قول الجالس على العرش «ها أنا أصنع كل شئ جديداً» (رؤ 5:21)؟ نعم ماذا نقول نحن إذا تأملنا في كل مشورات الله العجيبة التي لابد أن تنجح بيد ذلك العبد البار (اش 10:53)؟!«إنه عمل كل شئ حسناً». ليس في هذه المعجزة فقط بل في كل حياته هنا على الأرض، وبالأكثر جداً في العمل العجيب الذي أكمله على الصليب!! «إنه عمل كل شئ حسناً». هكذا قالت الجموع قديماً، وهكذا نقول نحن الآن، على الرغم من كفر الكافرين .. لن ننسب لله جهالة، فنحن نعرف أن كل الفساد والتشويش الذي يملأ العالم الآن هو من صنع عدو المسيح، الشيطان. أما ابن الله فلهذا قد أُظهر، لكي ينقض أعمال إبليس (1يو 8:3).نعم «لقد عمل كل شئ حسناً». ومع المرنم نقول نحن أيضاً «ما أعظم أعمالك يا رب. كلها بحكمة صنعت» (مز 24:104).

تأمل وتعليق

تمت هذه المعجزة في وسط حدود المدن العشر.

من أين عرف الرب سُكان هذه المنطقة؟ وكيف وثقوا في قدرته على الشفاء حتى إنهم جاءوا إليه بمريضهم هنا، بل وبمرضى كثيرين غيره كما نفهم من انجيل متى 29:15-31؟أليس الأرجح أن السر وراء ذلك هو شهادة الرجل الذي كان قبلاً فيه اللجئون، والذي عندما شفاه الرب يسوع فقد طلب منه أن يذهب إلى بيته والى أهله لكي يخبرهم كم صنع به الرب. أما هو فمضى وابتدأ ينادي في العشر المدن كم صنع به يسوع (مرقس 20,19:5).

ما أعظم نتائج الشهادة للمسيح، والعمل الفردي!!

12.ابراء إذن مرخس (لوقا53،15:22)

معجزة النعمة!

(*) كلمة أرامية بمعنى انفتح.

المعجزة التي سنتأملها الآن لها وضع مختلف عن سائر المعجزات فمع إنها معجزة إبراء – مثل المعجزات السابقة التي تأملناها– لكن توقيت هذه المعجزة، والظروف التي تمت فيها، أعطاها وضعا خاصا وفريدا إنها آخر معجزة قام بها الرب قبل الصلب عندما أتى اليهود، ومعهم الخائن يهوذا لإلقاء القبض على شخصه الكريم وكان الرب قد استودع نفسه تماما لمشيئة أبيه، وسلم الإرادة له، وخرج ممتلئاً بالسلام ليواجه خيانة الخائن يهوذا، وجحود الجاحدين من الذين أتوا ليلقوا القبض عليه، ثم ليشرب الكأس المرير!! لكن بطرس، الذي كان لتوه قد استيقظ من النوم، مع إن الرب طلب منه أن يسهر معه، ثم طلب منه أن يسهر لأجل نفسه، لئلا يدخل في تجربة: بطرس هذا الذي لم يصل، تصرف –شأنه شأن باقي التلاميذ – بنشاط الجسد فهم قالوا «يا رب أنضرب بالسيف ؟» قبل أن يجيب الرب عليهم كان بطرس قد مد يده إلى أحد السيفين اللذين كانا معهم، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه.مسكين بطرس! لم يكن لديه وقتئذ ولا ذرة واحدة من فكر الله، والرب وبخه على ذلك قائلا «رد سيفك إلى المكان لان الذين يأخذون السيف، بالسيف يهلكون» (مت52:26)، وبعد ذلك أوضح الرب لبيلاطس أن خدامه لا يفعلون ذلك (يو 36:18) لكن بعد بطرس جاء الملايين الذين لم يميزوا جوهر المسيحية، وخاضوا حروبا أسموها بالأسف حروبا صليبية.كيف يقترن الصليب بالسيف ؟! لقد عبر أمير الشعراء عن دهشته هذه فقال:

خلصوا صليبك الخناجر وكل أداة للأذى وحسام والمدى

وقال أيضا مخاطبا الجنرال اللنبى

يافاتح القدس خَلِّ السيف ناحية ليس

الصليب حديداً كان بل خشباً

إن المسيحية لا تعرف سيف القتل، بل تعرف سيف الروح الذي يحيى، كلمة الله. هذا السيف الذي استخدمه بطرس نفسه بعد ذلك بنحو خمسين يوما (اع14:2–37)، وبه اخترق قلوب سامية فأحياها «لان كلمة الله حيه وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته» (عب12:4)

لقد ذكرت الأناجيل الأربعة حادثة قطع أذن عبد رئيس الكهنة، لكن كلا من لوقا ويوحنا أضاف أن الأذن اليمنى هي التي قُطعت. وانفرد يوحنا بذكر اسم العبد وهو ملخس. أما لوقا الطبيب وهو المشهور بتسجيل لمحات النعمة في حياة مخلصنا، فإنه انفرد بذكر لمسة الرب الشافية للأذن المقطوعة «فأجاب يسوع وقال دعوا الىّ هذا[*] ولمس أذنه وأبرأها».إننا هنا لا نعجب فقط بقدرة الرب على إتمام البرء دون استخدام أدوات طبية ولا إجراء عملية جراحية. نعم ليس هذا أهم ما يشدنا في هذا الحادث العجيب، بل إن ما يلفت

---

[*] قول الرب يسوع هذا موجه إلى التلاميذ، لكي لا يستمروا في الدفاع عنه بهذا الأسلوب. أي «دعكم من هذا» أو «قفوا لا تزيدوا» - بحسب الترجمة اليسوعية. أو «قفوا عند هذا الحد» - بحسب الترجمة التفسيرية.

النظر هو نعمة الرب. فمهما تلبدت السحب فوقه، يظل قلبه نابضاً بالحب أبداً. ومع أن خدمته كمن يجول يصنع خيراً كانت قد انتهت (لتبدأ خدمة أعظم) لكن نعمته لم تتوقف عن العطاء، حتى لأعدائه!ونحن لا نعجب أن ينفرد لوقا الطبيب الحبيب، دون باقي البشيرين، بذكر معجزة النعمة هذه. فلقد انفرد أيضاً بمشهدين آخرين عند الصليب. تجلت فيهما نعمته المتفاضلة: وأعني بهما صلاته لأجل قاتليه. يقول لوقا «صلبوه هناك مع المذنبين، واحداً عن يمينه والآخر عن يساره. فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا 34:23). والحادث الآخر هو خلاص اللص التائب والمعلق إلى جوار «يسوع» المصلوب.

وهو في الطريق إلى الصليب يلمس أذن ملخس العبد الجاني ويبرؤها، ليعطيه فرصة أخرى ليستمع إلى صوت نعمته ويخلص. ثم وهو معلق على الصليب يستمع هو لنداء لص قاتل، يقول له في آخر لحظة «أذكرني»، فيجيبه قائلاً «الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس»!!أعتقد أن ملخس هذا كان أبرز العبيد في عدائهم للمسيح، وأنه كان في مقدمة الركب الذي ألقى القبض على «يسوع»، حتى أن بطرس بدأ به لكونه أقرب تلك الثلة، وأوقحهم. ورغم ذلك العداء القوى فقد كانت محبة المسيح أقوى. وكم من أشخاص عادوا المسيح من كل قلوبهم، لكنه تبارك اسمه مد يده إليهم وأبرأهم. يقول الرب في نبوة هوشع «لم يعرفوا أني شفيتهم. كنت أجذبهم بحبال البشر، بربط المحبة .. ومددت إليه مطعماً إياه» (هو 4,3:11). تُرى هل عرف ملخس الرب الذي شفاه؟ وهل تجاوب مع تلك اليد التي امتدت نحوه؟!نحن لا نستبعد قط أن هذا العبد آمن بالمسيح فعلاً وخلُص. وإلا فلماذا ذكر يوحنا الرسول اسمه؟ صحيح أن يوحنا كان معروفاً عند رئيس الكهنة، ودخل مع «يسوع» إلى دار الولاية، وعليه فقد يظن البعض أنه كان من السهل عليه أن يعرف اسم ملخس من حيث كونه مجرد عبد لرئيس الكهنة. بل إني أقصد ما قيمة أي اسم لأي إنسان عبداً كان أم ملكاً إذا انتهت حياته دون توبة ودون رجوع إلى الله؟لعلنا نتذكر قصة الغني ولعازر الواردة في لوقا 19:16. فالغني الذي مات وذهب إلى الهاوية لم يهتم الكتاب المقدس بذكر اسمه. أما ذلك المسكين المضروب بالقروح، الذي عند موته حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، فقد سُطر اسمه في الكتاب المقدس «لعازر». إنه اسم شخص عزيز عند الرب (اش 4:43)، وموته عزيز في عينيه (مز 15:116).ولم لا يكون قد خلص؟ ألم يخلص شاول الطرسوسي، ذاك الذي ارتأى في نفسه أنه ينبغي أن يفعل أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري، ومثل ملخس، وفي نفس طريقه، فعل في أورشليم، فحبس في سجون كثيرين من القديسين آخذاً السلطان من قبل رؤساء الكهنة، ولما كانوا يقتلون ألقى قرعة بذلك (أي أعطى صوته لقتلهم) (أع 10,9:26). إن ملخس لو كان قد آمن وخلص (كما أعتقد)، فإنه يستطيع مع الرسول بولس أن يقول «أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً. ولكنني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان. وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع. صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا» (1تي 13:1-15).وكم من ملخس آخر آمن وخلص.

وستكشف الأبدية عن ملايين تمت فيهم كلمات الرسول بولس «أنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت» (كو 1: 22,21).والآن لنترك ملخس ونقول لقارئ هذه السطور أنه مهما كانت خطاياك، فالرب يبسط يده نحوك يريد أن يبررك. ومهما كان ماضيك حافلاً بمواقف العداء والكراهية للمسيح، فإن الله مستعد أن يغفر وينسى «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم» (2كو 5: 19).لكن احذر من التمادي في الغي والعناد. فأولئك اليهود بمجرد أن فرغ الرب من شفاء أذن العبد، فإنهم أوثقوا يديه .. فكان الشفاء آخر ما عملته يدا المسيح، وكان العداء هو أول ما عملوه بهاتين اليدين.وليست الوثق هي فقط التي آذوا بها يديه الكريمتين، بل أيضاً المسمار الرهيب. فيقول المسيح بروح النبوة «ثقبوا يديّ ورجليّ» (مز 22: 16). وعندما سيُسأل الرب في يوم قادم قريب «ما هذه الجروح في يديك؟» فإنه سيُجيب «هي التي جُرحت بها في بيت أحبائي» (زك 13: 6).لا يوجد شئ يذيب القلب مثل نعمة المسيح ومحبته. لكن الشمس التي تذيب الثلج هي التي تيبس الطين. وقلباً لا تذيبه نار محبة المسيح الملتهبة، لا يستحق سوى نار الجحيم يتلظى فيها إلى ابد الآبدين!!

صديقي! لا يوجد شئ يذيب القلب مثل نعمة المسيح ومحبته. لكن تذكر أن الشمس التي تذيب الثلج هي التي تيبس الطين، فتحذر لنفسك!إن قلباً لا تذيبه نار محبة المسيح الملتهبة، لا يستحق سوى نار الجحيم يتلظى فيها إلى أبد الآبدين!!عزيزي القارئ. تعال! تصالح مع الله! أسرع الآن، والذي شفى ملخس الآثم في آخر لحظة، وخلص اللص التائب في آخر لحظة، يعمل في قلبك الآن، فمن يعرف متى ستكون بالنسبة لنا آخر لحظة!

مجداً له تعالى رب غفور

كم تائب قد نال محو الشرور

أنت غريق اليأس ترجو النجاة

أسرع ففادي النفس يدعو الخطاة

لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا
وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا
وَهُوَ مَجْرُوحٌ
لأَجْلِ مَعَاصِينَا
مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ
سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا

وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً
مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً
كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ
وَاحِدٍ
إِلَى طَرِيقِهِ
وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ
جَمِيعِنَا
إشعياء 53:4-6

(*) قول الرب يسوع هذا موجه إلى التلاميذ، لكي لا يستمروا في الدفاع عنه بهذا الأسلوب. أي «دعكم من هذا» أو «قفوا لا تزيدوا» - بحسب الترجمة اليسوعية. أو «قفوا عند هذا الحد» - بحسب الترجمة التفسيرية.

http://www.chaldeanllmaseh.com
موقع كلدان للمسيح